مقهى القصص
مجموعة من القصص الأدبية المتنوعة
لكوكبة من أعضاء فرسان

مقهى القصص

فرسان الحرف

دار مُلهم للطباعة و النشر

تنسيق/ تصميم الغلاف: خليفة هدية

فكرة وإشراف: فريق فرسان الحرف

مراجعة: دعاء فوزي

برعاية: منظمة ملهم للتنمية الفكرية

مقدمة

بين دفتيّ كتابكم، وفي كل نص هنا... قلب يطلّ من نافذة مختلفة،

وفي كلِّ قصةٍ أثر روح مرّت بـ"فرسان الحرف"، وتركت شيئًا يشبهها.

هذا الكتاب ليس مجرد مجموعة قصص، بل حديقة صغيرة زرعها أصحاب الحرف بأصواتهم... بأفراحهم... بدهشتهم، وبذلك الجزء الخفيّ الذي لا يُقال إلا كتابة.

نضع بين أيديكم الإصدار الرابع من مجموعتنا الأدبية، هدية من الإدارة إلى الأعضاء؛

امتنانًا لكل قلم شاركنا بصمته الفكرية وهو مؤمن أنها في مكانها المستحَق، ولكل روح آمنت أن الكلمات قادرة على جمع النبض المختلف حول دفءٍ واحد.

هنا ستجدون قصصًا متعددة الوجوه؛

بعضها يشبه المطر حين يطرق الذاكرة، وبعضها يشبه المرآة حين تفاجئنا بحقيقتنا،

وأخرى تمرّ كشهاب خاطف... يترك خلفه الضوء طويلًا في داخل كلٍ منّا.

شكرًا لكل من جعل للحرف بيتًا معنا، وللقصة حياة بيننا،

وللخيال جناحين يحلّق بهما في سماء فرسان الحرف.

فمرحبا بكم في الإصدار الإلكتروني الرابع، وسنستمر بإذن الله.

جريمة بلا ضجيج

لم يكن في الغرفة ما يلفت النظر سوى ذلك الهدوء المبالغ فيه، الهدوء الذي لا يسبق شيئًا، بل يأتي بعد أن ينتهي كل شيء.

كانت مُعلّقة بحبلٍ بسيط كأن المشهد أُعدّ ليُصدّق بسرعة، امرأة في أشهرها الأولى من الحمل ملامحها ساكنة على نحوٍ لا يشبه نهايةً عنيفة، بل أقرب إلى صمتٍ فُرض عليها، وقف الزوج جانبًا، يكرر عبارته بنبرةٍ واهنة:

- كانت مسحورة، تبدّلت أحوالها،

عبارة تصلح لكل شيء، إلا للحقيقة.

اقتربتُ ببطء، لم أنظر إلى الحبل فالحبال لا تقتل بل تُستخدم، كان بصري متجهًا إلى العنق حيث تكمن الرواية الصادقة، الأثر كان واضحًا، خطٌّ أفقيٌّ يضغط على مقدمة الرقبة، ممتدًّا على مسار تلك العضلة التي تنحدر من خلف الأذن إلى الترقوة.

لم يكن هناك ميلٌ إلى الأعلى لا ذلك الانحراف الذي تخلّفه حالات الشنق، حين يقاوم الجسد سقوطه الأخير، هنا، لا مقاومة، تأملت يديها.

بشرتها خالية من الخدوش، أظافرها هادئة كأنها لم تُمنح فرصة الدفاع، أو لعلها لم تدرك أصلًا أنها كانت تُقتل، سألته:

- من وجدها؟

أجاب:

- أنا، حين عدت.

نظرت إلى الأرض، لم يكن ثمة اضطراب، لا أثر لحركةٍ مفاجئة، ولا كرسيٌّ أُزيح أو اندفع، كل شيء في موضعه على نحوٍ يثير الريبة أكثر مما يطمئن.

حين وصل تقرير الطب الشرعي، لم يأتِ بالجديد بل صاغ الشكوك بلغةٍ قاطعة:

- الوفاة نتيجة خنقٍ سابقٍ للتعليق، أي أن الجثة عُلّقت... بعد أن انتهت الحياة.

عدتُ إليه، هذه المرة، لم أحتج إلى سؤال.

قلت بهدوء:

- هذا الأثر لا يصنعه حبل.

ارتبك ارتباكًا خاطفًا، لكنه كافٍ.

اتجهت إلى المطبخ، كوبان على الطاولة أحدهما يحمل بقايا مادةٍ مهدئة، تحليلٌ سريع كشف الاسم:

ديازيبام... جرعة لا تقتل، لكنها تُسكت الجسد بما يكفي، وفي المغسلة، أثرٌ خافت لقيءٍ لم يُمحَ تمامًا.

بدأتُ أرى المشهد كما كان:

امرأة تُخدَّر، تفقد وعيها، يدٌ تضغط على عنقها في الموضع الذي لا يخطئه من جرّب،

ثم حبل، ليُكتب المشهد الأخير على هيئة انتحار.

التفتُّ إليه أخيرًا:

- لِمَ؟

جلس وكأن الكلمات أثقل من أن تُقال واقفًا.

- لم أُرِد طفلًا، لم أُرِد حياةً تُقيّدني.

لم يكن بحاجة إلى مزيدٍ من الشرح، أهلها اتهموه وكانوا أقرب إلى الصواب مما ظنوا،

غير أن الحقيقة، لم تكن في الاتهام، بل في التفاصيل.

لم تكن مسحورة، كانت ضحية ثقةٍ في غير موضعها.

أما هو فقد ظنّ أن الحبل كفيلٌ بإغلاق القصة،

وغفل عن أن العنق يحتفظ بالحقيقة، مهما أُحكمت العقدة.

بقلم الكاتب: محمد الواحدي

على قيد الموت

الليل يسرق من فضاء المدينة ظلمته، سماء مكفهرّة توحي بمأساة الواقعة، أرض تختبئ تحت ركام بقايا العيش، دُمية محشوّة بالخوف من هدايا عيد الميلاد على عتبات الطريق، أصوات أنين تصرخ في صمت الوحشة، زجاجة حليب تتوسّد الأشلاء لرضيع لم يكمل شهره الأوّل.

"لم يبقَ في كنف الحيّ سوى ظلال الحزن تلفّ خيوط الشمس من أن تحتفي وحدها بالسطوع، سأرسل إليك صور خراب المساكن؛ لتصوغ إليَّ أصداء وجع الذكريات المتشبثة بالأسوار..."

يقول خالد وهو يراسل صديقه محمد الجزائري عبر الإنترنت، فلم تعد هناك وسيلة للإحساس بالوجود سواه.. يعبر الجزائري عن كمده إزاء وضع صاحبه الذي لم يفارقه طيلة رحلة الماجستير بأوروبا، ويردد على مسامعه بلهجات الأسى:

"لا بأس يا خالد لا شك في الله من اقتحام النصر لساحات الهزيمة.. ستنبت أوراق الزيتون من رمادها كما العنقاء!"

يكمل مواساته مسليا:

"لا تنسني في جرّة من زيت البكر حينها، أكون ممتنا إذا دعمتها ببرطمان زعتر مترع بالسمّاق الفلسطيني!"

يضحك خالد ساخرا:

"لتنهض أرواحنا من حطام الغائبين أولا، أشجار الزيتون تعوّض بالعافية

أعدك بلقاء على مهد وطنك، أليست رؤية شحوب وجهي ألذ من صحن زعتر بجبن الحلوم في صباحات الإجازة ؟!"

يقفل سماعة الهاتف راجيا ألا يحمله وجوم الأوطان المنسوبة إلى العروبة على نزعة الغيض لصديقه!

خوت الشوارع من ضجيج أهلها، من الجنوب إلى خيم الشمال ساروا محمّلين بحقائب الخيبة، وبعضا مما يسد فوهة الجوع، يجرون أطفالهم بأجساد رثّة ما عادت تشعر بالضنى!

تحتضن الردهُ الضيّقة حسّ بعض الشبان الذين حكمت عليهم نشوة حلم الصحافة والإعلام أن يُخَلّدَ تاريخ البطولة نجاتهم أو أسماء جثثهم، مضوا مدفوعين بحب وطن منسي، وآضعين أكفّ الصمود على قلوب أودعوا فيها آمال الرجوع إلى أسرهم النازحة، يتلون كل ليلة كلماتهم الأخيرة على أوراق الوصايا خشية مباغتة الموت.

"متى ستفرج خانتنا المواعيد ... نمضي ونعلم أن الدرب مسدود"

يدندن خالد وهو يعتلي هضاب الركام يقتلع الصخور الموارية للجثث؛ علّه ينقذ روحا لم تبرح عن معافرة الحياة.

يقاطع فرج صاحب الجسد الرياضي تساؤلات خالد:

"دع عنك أعمال رفع الأوزان، جسمك الهزيل لا يقوى على ذلك، لا أريد أن أكتب في صحيفة المساء أن الصحفي الباسل (خالد رفعت) لاقى حتفه إثر انتشال حجارة لا تزن عشرين كيلوغراما."

يقطب خالد حاجبيه الأسودين منزعجا، ويردّ بنبرة حادة:

"لا ترمي بثقلك على طباع المزاح، لا تناسب قلمك الباذخ بالسوداوية أطياف المرح. على كلٍ، ألا توجد أخبار عن شاحنة المؤونة القادمة إلينا؟

أشعر أنه سيغشى عليّ من فرط السَّغب."

طأطأ فرج رأسه مفكرًا، وأردف بعد ثوان:

"يبدو أن المخمصة اجتاحتنا يا صاح! ما بين فاجعة العائلات المهجّرة والمدن التي ترتع فيها كلاب الاستعمار نقف نحن لا شيء يسلّط علينا ضوء عونه أو شهرته."

يمدّ بصره إلى المباني الهامدة قائلا:

"لينجني الإله إلى وقت أكمل فيه تدوين نضال الشباب في أقطار هذه المعمورة الخربة!"

يعود إلى مضايقة خالد هاربًا من نبرة الحزن:

"ولا تخف، لن أُغفل سرد بطولة موتك: الصحفي الباسل (خالد رفعت)، ضمته رحمات السماء عقب مقارعة مع العدو الغاشم (المجاعة)."

يبتسم خالد مستأنسا بحديث فرج الذي جعل ذكرياتهما معا تتسلّل إلى قلبه مرتبة على قسوة الأيام، يصمت لبرهة سارحا ويستطرد:

"رحم الله العم مصطفى! أتذكر لقاءنا الأول عندما كنا نوزع أرغفة خبز تنّوره على نازحي الشمال، لطالما كان يكرر بعد نفاد الطحين: وأنتم وأنتم؟"

يتأمل فرج تلبّد السماء متنهدًا، كأنه يرسل برقرقة عينيه الخضراوين الدعوات للموتى، ثم يسترسلُ منغمسًا في حنين الماضي الغابر:

"كان شيخا محنكًا ذا علمٍ ودين، ينزوي في أوقات الصلاة بسجادته الزرقاء البالية، يطيل سجوده ويتحنّث بُعيد السلام مع مصحفه الصغير... يجمعنا دائمًا ليقصّ علينا تاريخ عناء هذا الوطن؛ نكبة الـ 1948 التي تهّجرَّ فيها معظم الفلسطينيين إلى دول الشام، قامت دولة إسرائيل حينها بعد استيلائها على أراض من ربوع البلد.

وهزيمة الـ 1967 التي تحالفت فيها بعض دول العرب وباءت بفشلهم ضد براثن الخصم وخيانة العرق العربي."

يكمل خالد عنه سحب حبال الذكرى:

"علمني نزرا من الشعر أيضًا، مال تذوّقه إلى الشاعر اليمني الراحل: البَرَدّوني، دائما ما يتغنى بأبياته التي تجسد حالة عيشنا الدامي:

"هذه بلادي، وفيها كل شيء

إلا أنا وبلادي"

أسأله متعجبا: وما الذي فيها يا عم؟

يجيبني بانتماءٍ وهو يغلق بصره الضعيف قليلًا: الصمود يا بني!"

يترّجلُ فرج من الجدران المائلة جالسًا على رصيفٍ هالك، تسود الدعة نفوسهما، وتُسكت قرقرة الجوع فرط التهامهم للأيام المنصرمة.

تَطرقُ أفكارُ فلسفةِ الوجود والرحيل رأس فرج الذي يُخبّئ خلف تجلّده الدائم هلعه من أفول الأحبّة دون أوبة.. يسأل خالدًا بارتعاش ممزوج مع صوته المشروخ:

"ألم تفكر في العزوف عن وحشية هذا العمل والعودة إلى أحضان أهلك؟"

"لم أفكر."

" تتذرع بالوطنية؟!"

"بهت الوطن يا فرج، تدعونا النفس أحيانا إلى التخلي، لكن الثأر لوالدي يردعني.. لا شيء يُجزع رغبته سوى الموت."

يبتُّ اعتراضَ فرجٍ له مسهبا:

"أتذكر يوم موت سامي النجار، جلسنا ليلتها حول نار خامدة خوف انتباه الطائرات للمكان.. سليتني حينها بشغب طفولتنا، وفوزنا الدائم في رمي الحصى على أولاد صاحب دكان الحارة

ألا زلت تذكر عزمك على محاربة المنية؟

وأنت تقاوم انهمار الدموع من أهداب عينيك؟

سألتك عن سبب استماتتك، أشرت إلى خاتمك الفضي الذي يُطوّق أصبع يدك اليمنى ثم أجبت بألم مشتاق إلى غد بعيد: الحلم!"

تقاطع حديثهما أصوات الطائرات التي تحوم فوق بقعة قبوع ثلة الشبان، يقتحم وليد سكون المكان وهو يهتف بصراخ مدوٍّ:

"ليختبئ كل منكم بعيدا عن الممرات الضيقة؛ هي هدف العدو!"

لكن الطائرة داهمت خالد وفرج قبل وصول صوت الوليد إلى مسامعهما...

قُصف موضع وجودهما، بعد محاولة للهرب، اخترقت الشظايا أرجل خالد، ثم انطلق فرج يحمله على ظهرهمسرعًا للاختباء تحت سقف بيت مهدوم.

يهتز جوف الأرض من الإسقاط الثاني، يضع فرج خالداً ويسند ظهره على الجدار، يهمس بأنفاس متهدجة:

"تبقت واحدة، ادع الله يا خالد، فم الموت يأزف من ابتلاعنا!"

قبل أن يكمل لهجه بالدعاء ارتطمت الأخيرة بمنتصف عرينهم.. يد فرج مرمية وسط دماء خالد التي سجّت المكان خارت قواه وبدأ بفقدان الوعي والعودة إليه تارة بعد أخرى وهو يقبض على جيبه حيث مذكرته الصغيرة وصورة أُمه، يغالب ضعفه باحثا عن صوت يصيح به:

فرج، محمد، أمي، والدي رفعت...

استيقظ بعد يومين من الموت السريري، غرفة مزدحمة بالجرحى، إضاءة خافتة، رائحة الدماء تُلوّث المشفى... يقاوم دوار رأسه ليفتش عن الطبيب، فكل ما يتذكره مشهد اصطدام جثة فرج بعد تحليقها من ضغط القصف.

أغمض عينيه بقوة من شدّة ألم جسده، ليجد الممرضة على رأسه وهي تضع محاليل التغذية في وريده.. يلفظ حروف اسم فرج بلسانه المثقل إثر التخدير، يلوّح بالسبابة والوسطى قاصدا رفيقه، حملقت الممرضة بذبول عينيه، زمّت بشفتيها وهزت رأسها آسفة لرحيله!

أمام قبر مغطى بالزهور، وسط صخب البكاء والدعوات، جثا على ركبتيه يتأمّل الاسم المنقوش على رخامة فوق رأسه، يشدّ على مذكرته الصغيرة تاركًا سُحب المحاجر تمطر الدمع رثاءً، يحرك مقلتيه بين ثلاثيّة اسمه: خالد رفعت حازم..

بعد أن قرأ تدوينه لقصّة رحلة ثأره، ووصاياه لفرج بالحياة، وإرسال قارورات من زيت الزيتون والزعتر المترع بالسماق الفلسطيني لمحمد الجزائري، وطلبه بالصبر والسلوى من أمه

يحادثه فرج منتحبا:

"توقفت الحرب منذ زهاء شهر يا صديق، انظر إلى خاتمي الفضّي وهو يطوّق أصبع يدي اليسرى. كنتُ أمازحك بتدوين بطولة موتك في صحيفتي، اليوم لا أقوى على سرد مغادرتك ادلهام هذا الوطن قبل رؤية نور النصر!

أخبرني أن لهفتك لرؤية العم مصطفى أخذتك للسماء، هل كنت تأنف حقا هذا العيش؟"

يفتح الصفحة الأخيرة التي امتلأت بقطرات الدموع متمعنا آخر ما خطت يداه:

"يهمس الموت في أذني كل ليلة، تأهّبت جيدا للرحيل؛ وداعي المستمر، وصاياي في مذكرة الجيب، زهدي في زخارف الدنيا التي لم أطلها، جميعنا في هذا الوطن على قيد الموت لكنني كما أسررت إليك يا عم مصطفى:

"سأحلم ربما اتسعت بلاد لي كما أنا " إني أود العيش "على هذه الأرض ما يستحق الحياة"

ألم يقل درويش؟"

وانتهت قصتي بمعجزة حصلت من الله، حولتها من أحزن قصة إلى أجمل.

بقلم الكتابة: إبتهاج المرغني

الغميضة

انتقل عمر وعائلته من المدينة بعد أن خسر صديقه خالد، أصابه حزنٌ شديد، حتى نصحه الطبيب بأن يبتعد إلى مكانٍ هادئ.

وصلوا إلى قرية الأحلام بعد خمس ساعات من السفر لكن عمر ظلّ شاردَ الذهن، غارقًا في صمته، يتذكر صديقه خالد وجملتهُ المعهودة:

"يا عمر، إن اختبأتُ، فلن تجدني أبدًا، حتى لو ظللتَ تبحث عني طوال عمرك."

يومها ضحك عمر، وعدّها مزحة ثقيلة، لكنها لم تكن كذلك، كانت تلك، آخر مرة يختبئ فيها خالد، ولم يجده أحدٌ بعدها.

لم يكلّم عمر أحدٌ من عائلته طوال الطريق، حتى أخته عامرة التي يحبها كثيرًا، وقبل دخولهم القرية، لمح طيفًا يركض ثم يختبئ خلف صخرة، تجمد في مكانه وبعد لحظة، ظهر ذلك الطيف مجددًا، رفع يده ملوحًا لعمر فقطب الثاني حاجبيه، ثم التفت نحو أمه، كانت مستمتعة بالحديث مع والده، وكأن العالم يسير بشكل طبيعي.

قالت عامرة بهدوء:

"هل رأيته؟ إنه يلعب."

نظر إليها بعينين متسعتين:

"هل رأيته أنتِ أيضًا؟"

هزّت رأسها وضحكت.

أشارت والدته إلى بيتٍ تظله شجرة وارفة، تمتد أغصانها كأنها يدان تحتضنان ذلك البيت.

وحين نزل الجميع، شعر عمر بقشعريرة تسري في جسده.

كأن هناك من يراقبه، بعيني كائنٍ مفترس، ينتظر لحظة غفلتهِ لينقضّ عليه.

تلفّت يمينًا ويسارًا، يحاول أن يلتقط مصدر ذلك الشيء الذي شعر به.

لكن المكان كان هادئًا على نحوٍ مريب.

حتى الهواء، رغم نقائه، كان يحمل بين جزيئاتهِ شوائب خفية، كأن شيئًا غير مرئي يتسلّل فيه.

نادته أمهُ ليُسرع بالدخول، فالتفت يبحث عن أخته، فإذا بها تركض أمامه، كأنها تعرف الطريق أكثر منه.

كان البيت جميلًا جدًا، ومريحًا، وكأنه لا ينتمي إلى هذا المكان، أو المكان هو الذي يرفضه.

غرفته كانت تطل على وادٍ واسع، وفيها باب زجاجي كبير، شعر للحظة أنه يُفتح على عالمهِ الخاص. أو ربما على شيءٍ ينتظره.

وبعد يومٍ متعب، ألقى بجسده المنهك على السرير، فاستقبله، كحضن أمٍ حنون.

وما إن أغمض عينيه، حتى ظهرت عامرة أمامه، وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

قالت:

"قال إنه سيلعب معي، لكنه يريد شخصًا آخر."

نظر إليها عمر بتوجّس. هذه أول مرة يخاف فيها من كلمات أخته.

قالت بصوتٍ منخفض:

"ذلك الفتى، الذي أشار إليك؟"

"هل هو هنا؟"

هزّت رأسها بجدية، ثم قالت:

"نعم، إنه هنا. ويريدنا أن نلعب الغميضة."

نظرت نحو الباب الزجاجي.

تجمّد الدم في عروق عمر. واتجهت عيناه ببطء نحو حيث تنظر.

كان هناك. الطيف نفسه، الذي رآه عند الصخرة.

اقترب من الباب، والتصق به. كأنه يحاول اختراقه.

ثم التفت نحو عامرة، التي كانت تقف بجانب الكرسي.

بدأ الطيف يحرك فمه ببطء، كأنه يقول شيئًا لا يُسمع.

ثم تسارعت حركته، أسرع... فأسرع،

حتى صار جسده يتلاشى، ويتحول إلى دخانٍ يتلوى في الهواء.

قال عمر بصوتٍ مرتجف:

"عامرة، تعالي إلى هنا."

لكنها لم تتحرك.

قالت، وعيناها معلقتان بالطيف:

"يريد أن يلعب، يريد أن نلعب الغميضة... الغميضة."

وقف عمر مصدومًا. أراد أن يقترب منها، لكن فجأة.

شيئًا في جسدها بدأ يتغيّر. ارتجفت يداها. وبعد لحظة، بدأ دخانٌ أسود يتسرب من أطراف أصابعها، رفيعًا في البداية، ثم يزداد كثافة، كأنه يتنفس منها.

اتسعت عيناها ببطء، حتى ابيضّتا تمامًا، كأن الحياة قد غادرتهما.

حاول عمر أن يناديها، لكن صوته اختنق في صدره.

تحول جسدها إلى دخانٍ يتصاعد نحو سقف الغرفة، كان الدخانان ينجذبان لبعضهما، كأنهما يريدان أن يلتقيا.

صرخ عمر بأعلى صوته، لعلّ والدهُ يسمعه.

لكن عامرة بدأت تقترب منه، وهي تهمس بصوتٍ متقطّع:

"فلنلعب يا عمر."

ومالت برأسها ببطء:

"أنا خالد، فلنلعب الغميضة، هيا اختبئ، واحد...اثنان... ثلاثة..."

وأخذ عمر يصرخ:

"خالد!.. عامرة!..."

"عمر... عمر."

فتح عينيه فجأة. قفز من مكانه، والعرق يتساقط منه كالمطر، وأنفاسهُ متقطّعة كأنه كان يهرب من شيءٍ لا يُرى.

كانت والدته جالسة بجانبه، والقلق يتصارع في عينيها، بينما وقف والده عند قدميه، صامتًا، يراقبه.

قال عمر بصوتٍ متعب:

"إنه، كابوس."

ثم ابتسم ابتسامة باهتة، وأضاف:

"كابوس، في قرية الأحلام."

سكت لحظة، ثم التفت فجأة، وكأن فكرةً داهمته:

"أين عامرة؟"

احتضنته أمه، لكن صوتها كان شبهُ هادئ، تحاول السيطرة عليه:

"إنها في مكانٍ أفضل. تلعب الغميضة، كما تحب."

احتضنته أمه مجدداً، وربّتت على ظهره برفق.

وفجأة، تذكّر عامرة...توفيت... وهي تلعب الغميضة.

سكتت أمه، واقترب والده، ووضع يده على كتفه قائلًا بهدوء:

"سيكون كل شيء على ما يرام... هيا، نم."

خرج والداه، وبقي عمر وحده.

وضع رأسه على الوسادة، ثم رفع عينيه ببطء، فتجمّد في مكانه.

كان هناك... الدخان. وفي داخله، أربع عيون، تحدّق فيه.

ثم جاءه الصوت... بطيئًا، زاحفًا:

"أربعة...خمسة، عمر... حان دورك."

بقلم الكاتبة: فطومة محمد

على هامش الطفولة

سرت في طريقي بلا نية للعودة، أخيرًا، وصل قطاري إلى محطة أحلامي، خطأي الوحيد أنني كنت فتاة تحلم في عالم لا يرى سوى الأبواب المغلقة.

لم أؤذكم كما فعلتم، ولن ألومكم على كلماتكم؛ ففي مجتمعٍ أنتم حجر الزاوية فيه، لا أستطيع إلا أن أفهم أنكم أسرى قيودكم الفكرية، وإن كان هناك من يستحق الشفقة ويحتاج العلاج، فهو أنتم.

كانت تلك آخر كلمات كتبتها فتاة في العاشرة من عمرها كرسالة.

سما لم تكن طفلة كباقي أقرانها، كانت طفلة بالجسد، لكنها تملك من الحكمة والذكاء ما يجعل عقلها سابقًا لسنواتها العشر، كلما تحدثت، كانت كلماتها تنساب بعمق لا يتناسب مع براءتها، فلم تكن الضفائر والشعر البني المربوط بأشرطة زاهية، ولا الفساتين المزهرة التي ترتديها، قادرة على إخفاء ذلك النضج الخفي الذي تحمله.

كانت تمضي ساعات طويلة وحدها في البيت، تعقد حوارات سرية مع عالم لا يُرى، أحيانًا تصمت كأنها تستمع لأحدهم، وأحيانًا أخرى تهمس لنفسها بأحاديثٍ هادئة، وجهها كان يتقلب بين الضحك والحزن، كأنها تعيش قصة كاملة لوحدها، عندما يدخل أحد أفراد الأسرة

ويرونها هكذا، يضحكون بخبث أو استهزاء، يظنونها طفلة غريبة الأطوار...

هذا جعل سما أكثر حذرًا، بدأت توقف حديثها كلما سمعت خطوات قادمة، وتتظاهر بأنها منهمكة في اللعب أو الدراسة.

في التجمعات العائلية، كانت سما تشعر بالاغتراب، ضحكات الأطفال وصراخهم كانا بالنسبة لها أصواتًا بعيدة، وكأنها تسمعهم من خلف جدار زجاجي، والدتها كانت دائمًا تجبرها على اللعب مع بقية الأطفال، ولكن سما كانت تعرف أن هذا لا يناسبها... بعد كل مناسبة، كانت الخوف يسكن قلبها، تعلم جيدًا أن والدتها ستبدأ بالكلام عن سلوكها أمام العائلة؛ ربما تتهمها بأنها تعاني من مرض نفسي، أو تشك بأنها تعاني من طيف التوحد، أحيانًا كانت تنعتها بالخرساء، لأن سما لم تكن تتحدث كثيرًا أمام الآخرين.

في المدرسة، لم يكن حال سما أفضل... ذات مرة، وجدت فتاة شعرت أنها تفهمها، وبدأت تحكي لها عن أحلامها والعالم الذي صنعته في خيالها، لكن تلك الفتاة لم تكن تفهم عظمة ما شاركته سما معها، أخبرت والدتها، التي بدورها منعت ابنتها من الاقتراب منها، محذرة إياها من الجلوس مع "البنت الغريبة".

لم يمض وقت طويل حتى انتشرت الشائعات في المدرسة، وأصبحت سما معزولة أكثر مما كانت من قبل.

الأيام مرت بصعوبة على سما...

كانت تتحمل ضغوطًا لا نهاية لها من أسرتها والمدرسة، والعالم الذي لم يفهمها.

في أحد الأيام، قرر والدها أن يقترب منها، ظن أنه قادر على فهم ما يدور في رأسها... قال لها بلطف: "سما، اعتبريني صديقك، احكي لي ما يدور في ذهنك، كما تحكين لنفسك."

نظرت إليه بعينيها الكبيرتين وأجابت بهدوء:

"أنا لا أحكي لنفسي."

تفاجأ والدها:

"كيف؟ فأنتِ دائمًا وحدك."

ابتسمت ابتسامة باهتة وقالت:

"لست وحدي، هم دائمًا هنا معي.

أحلامي هي التي تحدثني، عقلي يخبرني بأشياء تسعدني"

أمسكت بالقلم وراحت ترسم على الورقة وتابعت:

"هناك في عقلي أناس يستمعون إلي، ويخبرونني بأنهم أصدقائي ولا يسخرون مني، صحيح أنني لا أملك أصدقاء هنا، ولا أحد يحبني، حتى أنتم، لكن لا يهم، أنا أملك شيئًا أعظم.

خيالي يا أبي، لي فيه كل ما ينقصني، عائلة تفهمني وتدعمني، وأصدقاء يحبونني ويقبلونني كما أنا."

توقفت عن الرسم وحدقت إلى والدها الذي كان مشدوهًا من هول ما سمع وقالت:

"تعلم ما قالته لي أمي؟ قالت إنها معي وستؤمن بكل شيء أؤمن به"

تفاجأ الأب وقال:

"أمك قالت هذا؟"

ابتسمت وقالت بصوت ممتن:

"نعم، أمي التي داخل عقلي، ليست التي تعيش معنا، هي دائمًا تجعلني حزينة وتجعل قلبي يتألم."

في تلك اللحظة، امتلأت عينا الأب بالدموع، وبدت كلماتها كطعنةٍ في قلبه، حدقت به ثم أدارت وجهها نحو الورقة وقالت:

"والدي الذي يقبع داخلي يطلب مني ألا أحزن عندما تحزنون، يقول بأنه غاضب منكم لأنكم جعلتموني أبكي كثيرًا، يقول علي أن أبقى كما أنا، مختلفة وفريدة، ويقول إنه فخور بي."

ساد صمت ثقيل، فجأة، انفجر الأب غضبًا:

"أنتِ مريضة! غدًا سأأخذكِ إلى طبيب نفسي."

تدخلت الأم في اللحظة نفسها وقالت:

"ربما الجان تلبّسها، لنأخذها إلى شيخ يرقيها."

بقلم الكاتبة: أبرار عبد الفتاح

المنطقة 119

غطاء دهْمة اللَّيل أُسبِل ليواري ضوء النَّهار خلفه، كان متجهاً إليها، حقيبته متعلقة بأكتافه، خيوط سماعات تتأرجح من آذانه، ومذياعه يتحدَّث. كان يعبر جنوب البلدة إلى شمالها، بدا ضجيج السكّان يتناقص، لم ينتبه إلى أنِ استقرت قدماه أمام بوّابة تصل طرفا جدار معدني، بجانبيها تتعلق بها لوحة كتب عليها:" المنطقة 119 ممنوع الدخول." استغرب لذلك، جذب تلك الورقة من جيبه، فتحها قارئًا محتواها، فإذا به العنوان نفسه.

دفع دفّتها داخلاً، توقّف في مكانه يلتفت، أحس بأن لا أحد هنا غيره، إلّا أنّه لم يكترث، فتساءل:

"هل نام الجميع هنا؟! أين أجد هذه المدرسة يا ترى؟!"

لفتت انتباهه خارطة المنطقة المعروضة على الحائط المقابل، ألقى نظرة عليها باحثاً بإصبعه محدثاً نفسه:

"المدرسة.. المدرسة.. شمالًا ثم يمينًا.. طريق مستقيم.. ها هي، وجدتها."

بدأ مسيره حثيث الخطى يتوسَّط طريقها المعبَّد، لكِن سرعان ما اتأدَ في مشيته، لا صوت سوى دقّات رتيبة من خطواته تحدِّث صداها.

فالسُّكون متشبث في الجادَّة، الخلو ارتسمَ على جدران المباني الشاحبة، حشائش نمت في تصدّعات الإسفلت، حتى ضوء أعمدة الإنارة يشِع فوق الهدوء، بدت الوحشة قابعة حوله وهو ينظر شاقًا طريقه بتعجُّب.

حلقة المفتاح تتعلَّق بسبَّابته عندما استقرَّ أمام باب فناءها الذي لم يكن مغلقًا تمامًا، دفعه بيده فانفتح مسرعًا كأنَّه مُرحبًا بقدومه.

ولِج إليه، تفقَّد طوابقها الواحد تلو الآخر تصاعدًا، رمقته النوافذ المظلمة المحطَّمة بشيء من الغموض.

توجَّه نحو حجرة الحارس القابعة عند تلك الزاوية قرب المدخل الرئيسي، لفت انتباهه ذلك الشق المُحدث بحائطها، حاول إلقاء نظرة منه لكنّ العتمة بالداخل حالت بينه وبين ما يشتهي، فتجاهله قاصدًا الباب، كانت تبدو آثار صيانة عليه بقفله الجديد. أدخل المفتاح، أداره فَفُتِح بكل سلاسة،

دفعه فأصدر أزيزًا متتاليًا، أشعل النور فانبهر لِمَ أمامه، مكان نظيف، مرتَّب، وعطر تأرَّج.

قال بصوت خافت يتخلّله العَجَب:

"سأبيت ليلتي هنا.. جميل جدًا."

ساقته أقدامه في جولة حولها عبر ذلك الفناء متفقدًا إيّاه، عاد أدراجه من حيث أتى، أغلق الباب، جلس فوق كرسي بداخلها مستطعمًا القليل من الرَّاحة.

تناول هاتفه، قام بالاتصال بصديقه عمر عن طريق أحد برامج الدردشة لإخباره بأمره وهو يقول كلمات بالكاد تسمع:

"آمل أن تكون على اتصال..."

أخذ كاتبًا: "كيف الحال عمر؟"

جاءه الرّد مسرعًا:

"أهلا عبدو، الحمد لله أنا بخير."

وسَّعت زوايا فيهِ ابتسامة فرح ثم أردف:

"أين أنت الآن؟"

"أنا في بلدة مجاورة لبلدتي، أخذت أمي للمستشفى بعد إصابتها وعكة صحية."

تغيرت ملامحه لضيق أحسَّه بعد سماع ذلك، قال:

"حمدًا لله على سلامتها.. لِمَ لمْ تخبرني بذلك؟!"

"بصراحة لم أشأ إزعاجك لأنه ليس بالأمر المقلق.. ها.. بماذا تريد إخباري؟"

"أحزر أين أنا؟!."

قوس حاجبيه متعجبًا لسؤاله، أتبع مجيبًا:

"أين ستكون، في منزلك كالعادة بعد أن حلت بك البطالة للمرة الثانية."

قالها ممازحًا إيّاه.

"لم تصب هذه المرّة، فأنا في بلدتك، لقد تحصلت على عقد جديد في وظيفتي السّابقة."

"أتعني غفير؟"

"نعم، غفير وفي مدرسة كالسّابقات"

قال بدهشة:

"أيُّ مدرسة هذه؟!"

"مدرسة تقع في الطرف الشمالي من بلدتك."

صمت عمر قليلًا يفكِّر، وقد علا الخوف ملامحه، ثم كتب:

"يا عبدو... أتقصد في المنطقة 119؟ ذات الطوابق الثلاثة؟"

"نعم.. هذه هي."

"من جلب لك ذلك العَقد؟"

"لا أعلم جاءني عبر البريد... أتعلم فرحت أسرتي بذلك جدًا."

"اسمع عبدو، أريد أن أقول لك شيئًا..."

"قل ما هو؟"

"عمر.. عمر.. هل ما زلت هناك؟! تبًا، انقطع الاتصال"

رماه بقربه متأفِّفًا، سطّح جسده على السرير قائلًا:

"أنا متعب جدًا."

لم يمهله سوى هنيئة حتى أغرقه في غيابة ظلماته السَّاكنة، فإذا برجال قادمين نحوه من بعيد، ظلّ يحدِّق بهم وهم يقتربوا ملوِّحين بأيديهم، الرعب متشبث بهم، دماء تخطِّط وجوههم، بدوا مرهقين، كانوا يصيحون بكلام غير مفهوم، حتى إذا ما اقتربوا، ملابسهم ممزَّقة، عيونهم مبيضَّة، ويلهثون بصوت مرتفع.

سمعهم يقولون له:

"أخرج منها قبل أن يأتيك الغفير خالد.. إيَّاك والنظر في عينيه.. لا تنظر.. لا تنظر."

اقترب أحدهم منه يهزّه بكلتا يديه، يصيح في وجهه:

"هل أنت مجنون؟ قم.. قم.. قم.. غادر.. إنّه آتٍ إليك."

انتفض جسده فاتحًا عينيه، وجد نفسه فوق السرير مستلقيًا على جانبه مقابل الحائط، استوى جالسًا، قطرات العرق على وجهه تجذب بعضها تقاطرًا، ازدرد ريقه، أفكار عدم الاطمئنان غزت عقله، شيء ما بداخله يحثّه على المغادرة. اتخذ هذا القرار بعد صراعٍ داخله دام لدقائق.

أخذ جوَّاله، تقلَّد حقيبته وقام مرتعدًا، سار نحو الباب توقَّف قبالته، همّ بمدِّ يده نحو مقبضه، كبحتها طرْقة عليه فقرعت قلبه، اندفعت موجة من القشعريرة في جسمه حتى شبا شعره كالدبابيس، لم يعد يشعر بملابسه تلامِسه.

صار طرفه يرتد إليه عدَّة مرَّات لثوانٍ قبل أن تأتي الثانية، عاد للخلف خطوة، فأتت ثالثة لتهزُّه هزّا.

سأل مُتلجلِجًا:

"من هناك؟!"

لم يأته أيُّ ردٍّ، فأعاده ثانيةً:

"من هناك؟!"

جاء يتخلَّل الهدوء مجيبًا:

"أنا الغفير خالد."

تجمَّعت دموعه في حوض عينيه بأنفاس تعلو، جسد يرتجف، ونبضات قلب تسارعت.

أمعن السّمع لخطواته التي تحرَّكت، أصبح يتبعها بأذنيه وعينيه حتى بلغت صدْع الحائط، أمال رأسه نحوها، فتذكر:" إيّاك أن تنظر في عينيه." توقَّف يحدِّث نفسه بهمسٍ قائلًا:

"إيّاك أن تنظر في عينيه."

تذبذبت الأفكار في رأسه لكنّه فضل الانصياع للنصيحة فامتنع عن النظر.

ساد الهدوء، عاد ليجلس على السرير يفكِّر، فانطفأ الضوء فجأة ليقرع ناقوس الفزع فيه.

أضاءت شاشة جواله شيئًا من الظلمة، شعر بأن الأمر غير طبيعي.

أخذ يتصل بعمر وهو يقول:

"هيَّا، أرجوك افتح السّمّاعة."

لكنّه لم يفعل، أعاد الكرّة، أجاب عمر مدعورًا:

"أنا في طريقي إليك"

"أسرع أرجوك"

انقطع الاتصال مرَّة أخرى، تعالا طرق على الباب، ازداد خوفه، ظل قابعًا في مكانه مرعوبًا، طنّ جوَّاله منذرا بنفاذ شحن بطّاريّته، رجَّه بتوتّر قائلًا:

"ليس الآن أرجوك."

فتح سحّاب حقيبته بعجل، غاصت يده فيها بهستيريًّا باحثًا عن مصباحه اليدوي، سرت شيء من الطمأنينة به عندما أمسكه. فطنّ هاتفه طنّتين متتاليتين وانطفأ ضوءه بعدها، عمّ الظلام، ضغط على مفتاحه موجّهًا إيَّاه على وجهه لتعود الحجرة مضاءة نسبيًّا.

أصبح خائفًا ينتظر، يتحيّن وقت قدومه، يترقَّب ساعة معصمه كأن الوقت يبطؤ، مرّ وقت ليس بالقصير عليه حين سمعه يقول طارقًا:

"افتح.. افتح يا عبدو.. أنا عمر"

شهق ثم زفر بارتياح، هبّ واقفًا إلى الباب، فتحه بعجلة سائلًا:

"أين...؟!"

الفُجاءة لقمت درب سؤاله عندما لم يجد سوى السّواد، تبدَّلت ملامح ارتياحه تعجُّبًا، تداخلت أفكار برأسه، سحب الباب على عجلٍ لإغلاقه لكنَّه ثَبُت في مكانه، عندها ظهر طيف أمامه متجهًا نحوه. أرخى قبضته من على الباب، قطَّب حاجبيه محاولًا رؤيته بوضوح لكن بلا جدوى. وجَّه له الضوء، جاء يمشي وصوت جرير قدميه يسبقه، يخترق الغيهب خارجًا وأشعة الضوء تلامسه شيئًا فشيئًا، متثلِّم الوجه، طولي الرأس، مبيض الشفتين غليظها، مرتخيَ السفلى، ذراعاه تنتهي بيدين ذوات أصابع تتدلى تتحرك باستمرار كأنها بلا عظام.

احتوته صدمة، تجمَّد فزعًا، وصوت نفسه تقلقل في صدره.

اقترب منه، ينظر إليه، عيون جاحظة ببياضٍ رسمت بداخله خرائط حُمْر، وحدقة صغيرة تتوسطه.

أمال رأسه، أصر على أسنانه بغضب تزامنًا مع تباعد شفتيه لتكشف عن حوافها السوداء.

قال له بصوت مرعب:

"ألم يخبروك ألَّا تفتح الباب!"

حاول أن يغمُض فتصلَّبت جفونه، شرع برفع يديه ليغطيها، تكسّح جسده، اعتلا الجفاف بشرته، شعر بوخزٍ في عينيه ثم صرخ بقوة يستغيث.

دفعه للداخل، صفق الباب خلفه، سقط مصباحه من يده، ومض قليلًا قبل أن ينطفئ وتلتهمهم دجنة الغرفة.

أضواء حمراء تومض، أبواق إنذار تعلو، الكل تجمع، أطقم طبيّة متأهبة، رجال أمن مستعدون، وشرر آلة جبِّ الحديد يتطاير، منتظرين بقلق بعد أن طرقوا الباب منادين باسمه عدّة مرَّات لكن! كأنّ جوفها خالٍ.

أشرقت الشّمسُ لتوّها، تمكن فريق الإنقاذ من قطع القفل، ما أن انفتح، دلف عمر أولهم ليطمئن على صديقه، وجده جالسًا على السرير، بصره تجمّد في نقطة أرضًا، صُلبة عينيه مُحْمرَّة، خيطا دمٍ نزلا منهما، يتنفس بهدوء، لم يتحرك، وتوقف لسانه عن الكلام.

لم يكن هناك بصيص أمل في شفائه، فأودع مستشفى الأمراض العقلية، وعند دخوله قدم إليه رجال كالذين زاروه في المنام، ممزقي الثياب، بأبدان ملتوية، مرتعشة، رؤوس تتمايل. ما أن استقروا أمامه قال أحدهم بصوت متشنِّج:

"لِمَ فتحت له الباب؟!"

ثم عادوا من حيث أتو

واقفًا قبالة نافذة مكتبه المطلَّة على باحة المستشفى، مرتديًا بدلة رسميَّة، رأى مريضه الجديد قد دخل فتوجّه إلى المختبر.

كان يرتدي معطفه الطبّي الأبيض، جالسًا على ذلك الكرسيّ ذو القوائم الطويلة، منثنيًا بجسده، واضعًا عيناه فوق عَيْنِيَّات مجهر، عندما وقف بجانبه مبشرًا:

- لقد وصل المريض عبدو كمال يا دكتور.

أمال زاوية فمه بخبثٍ فرحًا حين اعتدل في جلسته، استدار بكرسيّه ناحيته، رشقه بنظرات مكر، رادًا عليه:

- نعم، هذا ما كُنَّا نأمله.

انبلجت أسارير وجهه لسماع ذلك ثم أردف:

- كم نحتاج لمريض آخر ليبدأ مشروعنا بتجربة برنامجنا البيولوجي؟

- عشرون رجلًا.

- جيّد، لم يبقى الكثير، إذا ما نجحنا يا دكتور، سنصبح أغنى عضوين في منظمة البحث والدراسة البيولوجية.

فهزَّ رأسه راضيًا بذلك.

عاد إلى مكتبه جالسًا خلفه، فتح تلك الجريدة باحثًا في عمود الباحثين عن عمل في الحراسة، كتب عنوان أحدهم على ظرف، وضع داخله نسخة من عقد مدرسة معدّ للتوقيع قبل أن يضيف مفتاحًا معه، مرّر حافته على لسانه فألصقه، ضغط على زرٍ بجانبه، دخل عليه أحدهم فأعطاه له ليرسله بالبريد في وقت لاحق.

أسند مؤخرة رأسه على الكرسي محدقًا في السقف، وظل ينتظر.

بقلم الكاتب: جلال بودربالة

الأمازونيات

على الساحل الشمالي لقارة أفريقيا، امتدّت أرضٌ خضراءُ تلمع في ربوعها البحيرات، وترتع فيها الزرافات السامقة والفيلة المهيبة، وترفرف في سمائها أسرابُ الطيور المختلفة.

إنها أرضُ ليبوا، أرضُ الخير والوفرة التي يحكمها الشاب الشجاع أمهار.

بعد أن أرسى أمهار أركان الدولة واستقرارها، قرر الزواج لتكوين عائلة وإنجاب ولد.

فكتب بيانًا لشعبه يقول فيه:

"يا شعب ليبوا العظيم الحكيم، لقد عزمتُ أنا خادم أرض ليبوا العظيمة على الزواج وإنجاب ولدٍ يجعل استقرار البلاد وازدهارها يمتدّان إلى سنين طويلة؛ وليتمّ هذا الزواج، فوضتُ لكم اختيار الفتاة المناسبة لتكون ملكتكم التي يُستأنس برأيها في الرخاء والشدة."

أخذ الجند بيان الملك يصدحون به في الأزقة والساحات. تشاور الناس فيما بينهم، إلى أن اجتمع أمرهم على اختيار تانيت، ابنة زعيم الجبل!

فهي الخيار الأنسب، وذلك لما عُرف عنها من حكمة وجمال ونسب عريق.

انطلق الملك وبرفقته نخبة من الحكماء، محمّلين بالهدايا الثمينة، قاصدين جبل بربر الذي يتزعمه أورس، لطلب يد ابنته الحكيمة تانيت للزواج.

رحّب زعيم الجبل أورس بالملك ومن معه، وذبح الذبائح وأوقد النار ابتهاجًا بهذا الزواج.

وما هي إلا بضعةُ أشهر حتى بُشَر أمهار بحمل زوجته تانيت.

تهلّل وجه أمهار عندما حان وقت ولادة زوجته، فهذا هو اليوم الذي انتظره كثيرًا، ليصبح لديه ولدٌ يكون له سندًا ووريثًا للدولة.

اسودَّ وجهُ أمهار حين زُفّ إليه خبرُ ولادة ثلاثِ بناتٍ توأم، فما هذا الذي كان يرجوه وينتظره؟

اعتزل أمهارُ الرعية واعتكف حزينًا يتفكّر في أيّ حال ستصبح الدولة بعد أن يكبر وتضعف قواه.

دخلت تانيت على الملك بعينين محمّلتين بالحكمة، وخاطبته قائلة:

"أعلم أنك حزين لأن الموهوب لم يكن ذكرًا، لكن الهبة كانت أكبر وأجمل؛ لقد أصبح لديك ثلاثُ بنات، وهذا يعني ثلاثُ عقولٍ وثلاث قوى. إن أحسنتَ تربيتهن سيفعلن في البلاد ما لا يفعله الرجال. لو فكرتَ في الأمر قليلًا لوجدتَ أنك ذو حظَ عظيم."

رفع أمهار بصره، وكانت كلمات تانيت قد وقعت في قلبه فأحدثت صدىً حسنًا، فبرقت عيناه بالبشر والأمل، أن يكنَّ هؤلاء الفتيات عونًا له.

فنهض متجهًا إلى بناته اللاتي لم ينظر إليهن حتى الآن، وما إن وقعت عيناه عليهن حتى شعر بالمحبة والفخر بهن! فقد كنَّ جميلاتٍ كأنهن الأقمار أشرقت دفعةً واحدة.

أخذ أمهار يبحث عن أسماء تليق بهذه الأقمار الثلاثة، فانطلقت به ذاكرته إلى الماضي المجيد حين

كانت المملكة تحت حكم جدته المحاربة تين هينان.

فقال مخاطبًا زوجته:

"الأولى، ستكون على اسم جدتي، واسمها تين هينان، والثانية سيكون اسمها الأمازونية ميرينة."

فقالت الملكة:

"والثالثة ستحمل اسم جدتي، الملكة المحاربة البربرية ديهيا."

كبرت الفتيات الثلاث، فأوكلت الأمُّ أحدَ محاربي المملكة لتدريبهن على فنون القتال، حتى أصبحن محارباتٍ شرسات.

وبينما كان أمهار يتفقد حدوده البحرية، إذا بأسطولٍ من السفن يلوح من بعيد، فامتطى جواده وانطلق سريعًا، وجمع جنده، ورابطوا على الشاطئ استعدادً المحاربة الغزاة.

وما إن اقتربت السفن حتى أدرك الملك أمهار أن الغزاة قادمون من الهيلّاس، وقد جاءوا لغزو أرض ليبوا لما شاع عنها من الخير والوفرة وازدهارها العظيم.

فاشتبك الجيشان في معركةٍ ضارية، كان النصر فيها حليفًا للملك أمهار، غير أنه كان نصرًا حزينًا، إذ فقدت المملكة معظم جنودها.

عقد أمهار اجتماعًا مغلقًا مع زوجته وبناته المحاربات، يستشيرهن ويطلب رأيهن، فقال:

"إن أعظم الانتصارات هي التي تُصان بعدها الأوطان وتُحفظ كرامة أهلها، ولكن إن عاد الهيلّاس، فكيف سنواجههم وليس في الدولة ما يكفي من الرجال؟"

عمّ الصمت المكان، ولم يُسمع إلا صرير الرياح، حتى دوّى صوت الأمازونية ميرنية كزئيرٍ.. "لن تسقط دولة على رأسها ثلاث محارباتٍ شرسات!"

ثم أضافت بثبات: "سنجمع كل امرأة وفتاة سليمة العقل والجسد، ونعلمهن فنون القتال، حتى إن باغتنا الهيلّاس مرةً أخرى، نكون على استعدادٍ للذود عن أرضنا."

تبادلت الملكة وبناتها النظرات، وفي أعينهن اشتعلت شرارة العزم، بينما أدرك أمهار أن قوة مملكته لم تعد تُقاس بعدد الرجال، بل بإرادة من يدافعون عنها، وفي أحد الأيام، وبينما كان أمهار في جولة تفقدية

على أطراف المملكة، لمح في الأفق خيال سفن الهيلاس تقترب من جديد.

فأسرع ممتطيًا جواده، وانطلق نحو القصر لجمع الجيش، وما إن وصل حتى صاح بصوتٍ جهوري:

"أعدّوا العُدّة للمعركة... الهيلّاس قادمون!"

فهبّت المحاربات الثلاث الشرسات، وجمعن جيشهن بسرعة، وتقدمت الأمازونية

ميرنية تخطب خطبة حماسية، والسيف في يدها، فقالت:

"أنا الأمازونية ميرنية، وأنتم منذ اليوم الأمازونيات، أي النساء المحاربات الشرسات! فلنُرِ الهيلّاس هذه الشراسة، ولن نكتفي بالنصر، بل سنغنم كل هذا الأسطول الذي جاء به طمعًا في احتلالنا ونهب خيرات أرضنا، ثم رفعت سيفها عالياً وصاحت بحماسة:

"تحيا ليبوا، أرض الخير والوفرة، حرةً مزدهرة!"

فدوّى صوت الأمازونيات المحاربات خلفها بصوت واحدٍ غاضبٍ ومشتعل:

"تحيا... تحيا... تحيا!"، وقفت صفوف الأمازونيات الشرسات كالبنيان المرصوص،دروعهن وسيوفهن مشهورة، وعيونهن تلمع كأنها تنذر العدو بالويل المستطير وتقدمت الأمازونية ميرنية تخطب فيهن لتشعل جذوة الحماسة، فقالت:

"اليوم يوم الملحمة... يوم النصر! سنجعل الهيلّاس يرون كيف نقاتل ونحن لا نركض بل نطير."

اندفعت الأمازونيات كالعاصفة التي لا ترحم يضربن بالسيوف والسهام ذات الشمال

واليمين تطير، انتهت المعركة بانتصارٍ باهر للأمازونيات، انتصارٍ ملأ الأفق هيبةً وفخرًا.

شعر الملك أمهار بالفخر ببناته، وبشيءٍ من الخجل من نفسه إذ تذكّر أنه كان في يومٍ ما يكره فكرة أن يكون أبًا لثلاث فتيات، عندها عادت إلى ذاكرته كلمات زوجته تانيت:

"إنك لذو حظ عظيم... لقد صار لديك ثلاث بنات، أي ثلاث عقول وثلاث قوى."، فخفض أمهار رأسه صامتًا، وقد أدرك أن ما كان يراه ضعفًا، كان في الحقيقة أعظم مصادر القوة في مملكته، ولم تكتفِ الأمازونيات بالنصر على أعدائهن، بل اندفعن بعدها إلى الهجوم على الأراضي المجاورة، حتى اتسعت حدود مملكتهم.

بقلم الكاتبة: أسماء بن عاشور

ا

الفستان الأخير

يدنو صوت رجولي من بين جدران الغرفة إلى أذنَيها، قائلاً بعنجهية:

"كبرتِ يا فتاة، كبرتِ عن كل هذه الهرطقات."

ثم استطرد مستهزئًا:

"لكِ ثلاثة من الولد، كلٌّ منهم يجتازك طولًا وعرضًا، وتقولين اليوم إنكِ ستعيشين شبابك المهدور؟ عبثًا، كم أنتِ حمقاء."

وقفت أمام مرآتها المحببة، تتوالى على ذاكرتها مشاهد كثيرة خانها فيها حبّها لعائلتها:

تنازلات لا تُحصى، أموال صُرفت لسداد حاجات غير ضرورية، وأيام أفنتها لتمنحهم حياة مريحة.

تذكّرت كيف كانت امرأة ضعيفة، تركض لتعمل، لتعيش، لتتنفّس.

لكن اليوم فقط قررت -وبحزم- أن تقطع عنها تلك السلاسل، وتعيش كذئبة حرّة.

ضحكت بصوتٍ يخفي دمعًا مستدركًا، وقالت:

"لا بأس، أريد أن أستمتع ببقية عمري كما تستمتع أنت."

فأجابها بغلظة:

"يا للْحسرة، بماذا أستمتع وأنا من وجهك إلى العمل، ومن العمل إلى وجهك؟"

ابتسمت بضعف، وقد مرت بذاكرتها خيانته الثامنة عشرة على التوالي، والمرأة ذات العشرون المطلقة.

يخيّل إليه أنه سيّد العائلة!

خانها مرارًا مع نساء كثر، فكانت تقول:

"نزوة عجوزٍ خرف"

لكن هذه المرة لم تكن نزوة؛ كان يرتدّ على منزلها مرتين في اليوم، ويصرف هناك من المال ما لم يصرفه على أطفاله يومًا.

أمسكت آخر بكلة شعر في يدها، نظرت إلى المرآة بعينٍ تومض بقوة غريبة، ثبّتت الخصلة الأخيرة، ووقفت مستقيمة.

أنزلت الفستان الأحمر القرمزي، رشت العطر في مواضعه، وقالت بثباتٍ دون أن تلتفت إليه:

"إني جاهزة سأخرج، عشائك في الثلاجة، دقائق ويبدأ العُرس."

ضحك بخبثٍ ماكر وقال:

"أريني أيتها العجوز ماذا صنعتِ بنفسك؟ خمسون عامًا وما زلتِ تحاولين التزيُّن."

تقترب خطوات كعبها من حيث يجلس، ببطءٍ ووقعٍ ثقيلٍ كنبضٍ مضطرب، تتوقف لحظة، ثم تواصل.

يحاول أن يراها قبل أن تصل، لكن الزوايا تمنعه.

وما إن خرجت ندى حتى وقفت بثباتٍ أمامه.

الفستان أوسع من أن يضمّ جسدها المترهل، لكنه بتفصيلٍ أنيق جعلها تبدو كطفلة العشرين.

تسريحة الشعر مستوحاة من تلك الخائنة، والفستان ذاته، والكعب، ولمسات المكياج أيضًا.

ابتسمت بهدوء وقالت:

"ما رأيك؟ أيُذكّرك هذا بشخصٍ ما؟"

تجمّد في مكانه، تردّد بين أن يبوح بدهشته من جمالها أو أن يعترف بخيانته المكشوفة.

وبعد لحظاتٍ من الذهول، قال بصوتٍ مرتجف:

"صدقيني، كانت نزوة."

لم تمضِ دقائق على خروجها حتى طرق الباب بقوة، دخل ابن أختها، شابٌ حادّ النظر، يحمل في ملامحه دينًا قديمًا لم يُسدَّد بعد، اقترب منه بخطواتٍ ثابتة وقال بصوتٍ خشن:

"جئتك في دينك يا عمّ، آن وقت الحساب."

رفع الرجل رأسه ببطء، متعجرفًا كعادته، ثم ضحك بخفّة:

"أأصبحتَ أنت الآن رجلاً تهدّدني؟"

لم يُطل الشاب الحديث؛ اقترب أكثر، بصمتٍ يشبه الغليان، مدّ يده، وأجبره على بلع شيءٍ صغيرٍ لم يدركه إلا حين بدأ وجهه يزرقّ.

صرخ مرتين فقط، ثم سقط جسده متخشبًا على الكنبة.

هدأ المكان فجأة، حتى الساعة الحائطية كفّت عن الحركة.

الهواء في الغرفة صار ثقيلاً، والظلّ ارتعش على وجهه.

جلس لثوانٍ يلهث ثم هدأ، فهدأ كل شيءٍ معه.

خرج الشاب كما دخل، بلا أثرٍ ولا صوت.

أما ندى، فقد ركبت السيارة بثباتٍ غريب،

أنفاسها متوترة لكن وجهها هادئ، مضت إلى العُرس، وحين وصلت، كانت تبتسم انتصارًا لنفسها.

كأنها أخيرًا خلعت قلبها القديم خلف تلك الجدران.

وفي الغرفة ذاتها، على الكنبة، رجلٌ ميتٌ بجلطةٍ مفاجئة...

أو هكذا قالوا، وهكذا يُحكى.

بقلم الكاتبة: دعاء فوزي

رسالة بلا اسم

عندما عاد بي الزمن إلى الوراء، وأنا ابنةُ تسع سنوات، لم ألتقِ بطفلةٍ عادية، بل التقيتُ بنفسي كما لم يفهمها أحد، كنتُ صغيرة في العمر لكنني أحمل في داخلي ما لا يحتمله الكبار، مزيجًا من الوعي، والخوف، والقوة، والحزن.

وحدةٌ مبكرة لم يخترها قلبي، لكنها اختارتني.

لم تكن طفولتي كما ينبغي، لم تكن دافئة، ولا آمنة، بل كانت مليئة بالصمت، بالكلمات القاسية، وبإهمالٍ تعلّمتُ معه أن أكون وحدي، أن اعتمد على نفسي في كل شيء.

في العاشرة من عمري، كنتُ استيقظ منتصف الليل لأشرب الماء، أمشي بهدوءٍ شديد حتى لا أُوقظ أمّي ولا أبي... ليس خوفًا من إزعاجهما؛ بل لأنني كنتُ أعلم أن إيقاظهما قد يُقابل بالغضب.

في إحدى الليالي، رأيتُ في صالون المنزل قطة سوداء كبيرة كانت تحدّق بي ثم اختفت عندما اقتربت منها، لم أصرخ ولم أهرب فأنا لم أعتد أن أُظهر خوفي، كنتُ دائمًا أُخفي كل شيء بداخلي، حتى الخوف نفسه.

ذهبت إلى المزرعة ذات يوم لأرعى الأغنام والأبقار، حينها هاجمتني مجموعة من الكلاب...

لكنني لم أصرخ، لم أتحرك، وقفتُ وكأنني أعرف أن شيئًا لن يحدث لي.

وفي مرةٍ أخرى، سقطتُ أثناء سقي الأشجار، جرحٌ عميق نزف كثيرًا...

ومع ذلك، عدتُ إلى البيت بصمت، وضمّدتُه وحدي، كما أفعل دائمًا.

لكن كل شيء تغيّر في ذلك اليوم، وجدتُ رسالة داخل حقيبتي المدرسية،

لم يكن فيها اسم، ولا توقيع، فقط جملة واحدة:

- أنتِ في خطر.

لم تكن مجرد كلمات، شعرتُ وكأنها تعرفني، ترددتُ كثيرًا، لكن لأول مرة، قررتُ ألا أحتفظ بالأمر لنفسي، عدتُ إلى المنزل وقلبي يسبق خطواتي، وضعتُ الرسالة أمام والديّ، نظرا إليها طويلًا نظرة لم أفهمها حينها.

لم يصرخا ولم يغضبا بل ساد صمتٌ ثقيل وكأن الهواء نفسه قد توقف ثم قالت أمي بصوتٍ لم أسمعه منها من قبل:

- نحن آسفون.

نظرتُ إليها، لم أفهم آسفون على ماذا؟

أكمل أبي، وعيناه تحملان شيئًا لم أره فيهما يومًا:

- حان الوقت لتعرفي الحقيقة.

في تلك اللحظة، شعرتُ أن كل ما عشته لم يكن صدفة وأن كل خوفٍ مررتُ به كان مجرد بداية، اكتشفتُ أن هناك سرًّا أكبر من طفولتي أكبر من قدرتي على الفهم، سرًّا جعلني أعيش كل هذا وكأنني كنتُ أُعدّ لشيءٍ لا أعرفه بعد.

ومنذ ذلك اليوم لم أعد تلك الطفلة، لم يكن ما أعيشه في البيت فقط ولا ما أتعرض له في المدرسة من ضربٍ وتنمّر هو ما شكّلني بل الحقيقة التي بدأت تنكشف ببطء، والتي غيّرت نظرتي لكل شيء.

كبرتُ لكنني لم أنسَ، كبرتُ وأنا أُضمد جراحي وحدي، أخفي ضعفي، وأبحث عن الحقيقة، حتى أصبحتُ اليوم، وكيلةَ نيابة، ليس المنصب ما كنتُ أبحث عنه بل الحقيقة، كنتُ أريد أن أعود إلى تلك الرسالة، أن أفهمها، أن أصل إلى كل ما خُبّئ عني ومع كل قضيةٍ أفتحها كنتُ لا أبحث عن حقّ الآخرين فقط بل أقترب أكثر من أسرار عائلتي، أسرارٌ لم أكن أتخيّل وجودها، وأخرى، كنتُ أتمنى لو بقيت مجهولة.

أدركت بأنني لم أكن قوية لأنني أردتُ ذلك بل لأن حياتي لم تترك لي خيارًا آخر

بقلم الكاتبة: رتاج ونيس زايد

هاتف بلا هوية

في مطعم مهجور، هناك على إحدى الطاولات هاتف شاشته مشروخة، كان الضوء المنبعث منها قوي كفاية ليحفز العين أن تغوص فيه، اقتربتُ منه شيئًا فشيئًا، مددتُ يدي نحو الطاولة بخطى متوجسة، وكأنني اقترب من أفعى ساكنة، عندما أطبقت يدي عليه كان هاتفًا بلا قفل ولا شريحة، اتصال مفتوح فقط المعرض على هذه الصورة.

لم تكن صورة عادية، بل بدت كما لو أنه هناك شخص حاول إفراغ سواد روحه في ورقة باستخدام قلم حبر جاف حتى تمزقت الورقة، وعيناه، واحدة تنظر بذهول والأخرى بنظرة خبث واتهام، الأسنان كالمنشار، فجأة شعرت بثقل الهاتف في يدي وبرودة سرت في أصابعي، وتساءلت:

"ماذا كان يفكر صاحب هذا الهاتف كي يرسم كل هذا السواد أو بما كان يشعر؟"

قلبت الصور، صورة تلوا الأخرى كانت كلها نفس الصورة ولكن كل مرة كان ذلك الوجه يقترب والملامح تتضح أكثر، وأخر صورة كانت خلفيتها ليس بياض الورقة بل كان حائط المطعم خلفي، فُزعتْ رميت الهاتف فانطفأ نوره وعمَّ الظلام المكان وإذ بي أسمع كشط أظافر على طاولة بعيدة، وصوت أقدام تقترب أكثر فأكثر حتى شعرت بصوت الأظافر على الطاولة التي أمامي، شعرت بأنفاس غاضبة بجانبي ويدٌ

أصابعها طويلة تقترب من عنقي وصوته كفحيح الأفعى يهمس في أذني:

"ما كان يجب عليك الدخول هنا."

بقلم الكاتبة: طوق الزمرد

حين اختفت الجريمة

كنا نقطن في ضواحي المدينة حيث الطبيعة الخلابة، والهواء النقي، إلى أن قرر مسؤولو الدولة إقامة مشروع على هذه الأرض، والتي من ضمنها بيتنا.

تم تعويضنا بتخصيص شقة وسط المدينة مع مبلغ ليس بكثير كتعويض عن البيت الذي قيمته أكثر من هذا التعويض.

مضت سنوات، وأنا يأسرني الحنين لبيتنا القديم، حيث الأشجار، والهدوء بعيدًا عن ضجيج الزِّحام، وأبواق السيارات، فلم أعتد العيش هكذا، فأنا لا أحبذ الزِّحام أبدًا.

جاءني الفضول لأذهب خلسة دون مشورة أبي لأتفقد البيت، وما حل به.

قررت الذهاب بعد منتصف الليل عندما يكون الجميع نيام.

ما إن وصلت المكان لأجد تلك الأشجار التي في بداية الطريق أغصان يابسة؛ فأصبحت الطريق موحشة، والغابة مهجورة.

أكملت المسير متجها إلى البيت ظانا أنه قد أزيل، إلا أنه لا يزال موجودا، لكنه مهترئ الجدران، وآثار دماء ملطخة أمام البيت.

هممت بالدخول، لكن اعتراني الخوف، فالبيت ليس كما كان سابقا مع وجود تلك الدماء.

سمعت أصوات رجال وبينهم شخص يصرخ، هرعت مسرعا للاختباء وأنا أراقبهم، فقد كانت وجوههم شاحبة ومنظرهم مزري كأنهم لم يغتسلوا لعقود، معهم سلاسل وسياط، أظن أنها للتعذيب.

أدخلوا ذاك الشخص إلى البيت وهو مكبل الأيدي، معصوب العينين، يستنجد فلا مجيب؛ فالمكان مهجور لسنوات بحجة إقامة مشروع للدولة.

بدأ الشخص بالصراخ ليعلو صوت صليل السلاسل مع ضحكات أولئك المجانين المستمتعين بما يفعلو.

خرجت من مكاني هاربًا من هول الأمر، رجعت للمدينة، وقلبي يخفق بشدة.

في عشية اليوم التالي تداولت الإذاعات الأخبار عن وجود جثة في بيت قديم.

بعد مُضي عدة أشهر اتضح لي أن أولئك الأشخاص هم نفسهم من يتحكمون في الدولة، وتلك الجريمة الشنعاء اختفت أخبارها كأنّ شيئا لم يحدث.

بقلم الكاتب: مصعب جدّي

الفتاة الهاربة

في دهاليز متاهات العبث، كنتُ حريصةً على ألا تُكشَف ابتسامتي الماكرة.

كنت أجتاز ظلالًا متفحمة، ممرًا ممرًا، أتأمل ضغينتهم ومقتهم حتى خُيّل إليّ إنهم مجرد ممثلين في مسرحٍ عتيقٍ متهالك، يحيط بهم جمهورٌ فاترٌ يرتدي قفازاتٍ بيضاء باهتة أنهكها التصفيق المتواصل، وجوهٌ بلا إيماءات، وروحٌ غائبة، وعيونٌ ثابتة بلا حياة.

هناك بهلوانٌ مريب يقف وحيدًا فوق خشبة المسرح، يهتز تحته الخشب القديم كأنّه يتنفّس.

جسده منحني قليلًا، كتفاه مرتخيتان من التعب، وصدره يعلو ويهبط بثقل الغصّة، عيناه واسعتان، فيهما ألف دمعة محبوسة لا تسقط، يحدّق في الورود الملقاة على الأرض كأنها فخاخ، ويهرب بنظره كلما ارتفع صوت التصفيق رغم ابتسامته المتعبة.

القمر غائب، والمكان موحش، والعرض باهت لا لون فيه ولا معنى، لا شيء سوى محاولة قهر الليل. فمنذ زمنٍ فقدوا دفء الحب، هم ليسوا سوى صفحات أخيرة من رواية بائسة، حواف أوراقها محترقة

وحبرها باهت، بطلتها فتاة فاتنة تتعثر هاربة من كابوسٍ يلازمها منذ الطفولة، غفت وهي تحاول أن ترمّم حياتها المستنزفة دون جدوى.

بقلم الكاتبة: سارة الباروني

أزمة بصرية

22 دخلت المكتبة اليوم رفقة صديقٍ لي، وبدأنا البحث عن كتابٍ محدد كان مرسومًا داخل عقولنا، أمضينا قرابة النصف ونحن نبحث عن ذلك الكتاب إلا أنه أبى أن يظل مستترًا بين تلك الأرفف الكبيرة.

كنّا على يقين تامٍ أن الكتاب الذي نبحث عنه موجود في تلك المكتبة، ولكن أين يقع؟

كانت هذه هي الأحجية التي تحتاج إلى حل.

أثناء سيرنا في أرجاء المكتبة، صادفنا رجلًا كبيرًا في السن، كان واقفًا ينظر إلينا ونحن نتطاير بين الكتب بابتسامة عريضة، لم تفارق وجهه لحظةً واحدة.

عندما رأيناه علمنا أنه أمين المكتبة، فذهبنا إليه فورًا وسألناه عن الكتاب الذي نبحث عنه، فأجابنا بأنه موجود، ولكنه أيضًا لا يعلم أين يقع مكانه بالضبط...

إلا أنه ظل يبحث معنا عن الكتاب، وأثناء تقليبنا في إحدى الأرفف قال بنبرة يكسوها شيء من الحزن العميق:

"أقسم أنني كنت أحفظ مكان الكتب في هذه المكتبة كتابًا كتابًا، ولكن الإدارة الجديدة قامت بإعادة ترتيب أماكن الكتب، وجلبت لنا كتبًا جديدة، وهذا الشيء جعلني أشعر بالحرج كلما سألني أحدٌ عن اسم كتاب ما..

كانت نبرة كلامه تنبئ عن ألم كبير، وفي الحقيقة طريقة تعامل هذا المسن وكلامه عن الكتب، جعلتني أوقن يقينًا لا شك فيه أن هذا الرجل قد أفنى سنينًا طويلة من عمره بين هذه الأرفف، لدرجةٍ جعلته كارهًا للتغيير الذي حصل في المكتبة."

بعد رحلةٍ من البحث وجدنا أخيرًا الكتاب الذي كنّا نبحث عنه، وتبين لنا ختامًا أننا قد مررنا على الكتاب أنا وصديقي أثناء بحثنا الأول أكثر من عشرين مرة.

واكتشفت في النهاية أننا لم نكن نحتاج ذلك الكتاب بقدر ما كنّا نحتاج إلى استعمال نظاراتٍ طبية...

بقلم الكاتب: عبد الكريم حدُّوث

مدينة القناديل

كان يا ما كان، في مدينةٍ تُدعى "مدينة القناديل"، طفل اسمه "ريان"... لكنه لم يكن طفلًا عاديًا.

كان ريان يملك سرًّا غريبًا، كلما ضحك بصدق، أضاءت حوله نجوم صغيرة لا يراها أحد سواه، فيهمس في قلبه:

"الحمد لله" على هذه النعمة.

وفي ليلةٍ من ليالي الصيف، بينما كان يجلس قرب نافذته، ينظر إلى السماء ويقول:

- حبيبي يا الله، ما أجمل خلقك.

سقطت نجمة حقيقية داخل غرفته، لم تحترق، لم تختفِ، بل تحوّلت إلى فتاة صغيرة، شعرها من ضوء، وعيناها مثل السماء.

قالت له:

" أنا لمعة، ضيّعت طريقي إلى السماء، وإن شاء الله أجدها من جديد."

تراجع ريان بدهشة:

"نجمة؟ في غرفتي؟ سبحان الله!"

ضحكت لمعة وقالت:

"وأنت طفل يضيء الكون بضحكته، ما شاء الله."

مدّت يدها نحوه:

"هل تساعدني في العودة؟"

تردد قليلًا، ثم قال:

"سأساعدك."

أمسك بيدها، وفجأة، خفّ وزنه وصار يطفو ثم حلقا معًا خارج النافذة، لكن رحلتهما لم تكن سهلة.

مرّا أولًا بـ"غابة الهمسات"، حيث الأشجار تتكلم بأصوات خافتة:

"ارجع، الطريق طويل، ستتعب."

خاف ريان، وقال:

"يا الله، أنا خائف."

فقالت له لمعة:

"لا تسمع إلا صوت قلبك، وتوكل على الله."

ثم وصلا إلى "بحر الظلال"، حيث كل شيء مظلم، حتى النجوم تختفي، هناك، كادت لمعة أن تنطفئ، قال ريان بصوت مرتجف:

" لا تتركيني، يا الله ساعدنا."

فقالت:

"اضحك يا ريان، إن شاء الله يعود النور."

حاول، لكنه لم يستطع، تذكر أمه، ضحكتها، حضنها، وكلماتها: "دائمًا قل الحمد لله."

وفجأة ابتسم، ثم قال:

"الحمد لله وضحك، لكن ضحكته هذه المرة لم تكن عادية، تحولت إلى آلاف النجوم الصغيرة، أضاءت البحر، وأعادت الضوء إلى لمعة."

ابتسمت النجمة وقالت:

"هذا هو نورك الحقيقي، نور الإيمان."

وأخيرًا، وصلا إلى السماء، وقفت لمعة عند بابٍ من نور، وقالت:

"هنا مكاني، وكل شيء بإذن الله يعود إلى مكانه."

حزن ريان قليلًا:

"هل سنلتقي مجددًا؟"

قالت وهي تلمع:

"كلما ضحكت وقلت الحمد لله، سأكون قريبة."

عاد ريان إلى سريره، كأن شيئًا لم يحدث.

في تلك الليلة، قبل أن ينام، ابتسم وقال: "الحمد لله."

فضحك فرأى نجمة تلمع عند نافذته وكأنها تلوّح له.

ومنذ ذلك اليوم، لم يعد ريان يخاف من الظلام

لأنه صار يحمل سماءه، داخله.

بقلم الكاتب: حمادي صالح

مدينة لا تتحدث

أنا أكتب الآن،

وأنا أجلس في مقهى يظن الجميع أنه ملجأ

بينما هو في الحقيقة غرفة انتظار طويلة لأرواح متعبة.

المدينة في الخارج لا تُرى من هذه النافذة...

بل تُسمع صوت سيارات لا تتوقف وكأنها تهرب من شيء لا يُرى، أبواق حادة كأنها صراخ مكتوم، وجوه تمر بسرعة كأنها تخشى أن تتأخر عن لا شيء.

هي ليست مدينة بل آلة وكل من فيها ترس.

أنظر إليهم ليس بفضول بل كمن يبحث عن دليل أنه ليس وحده في هذا التعب، وأكتشف في كل مرة أن كل واحد هنا يحمل جحيمه الخاص ويخفيه بإتقان.

الرجل الأنيق الذي دخل منذ قليل، جلس بثقة زائدة، وضع هاتفه أمامه وتفحص المكان بنظرة سريعة، نظرة لا ترى أحدًا، بل تُصنّف.

في داخله، لا يوجد هذا الهدوء الذي يظهره.

هناك خوف، خوف من أن يخسر كل شيء، خوف أن يُكتشف أنه ليس سعيدًا كما يبدو، خوف أن يكون كل ما بناه... مجرد قشرة، لكنه لن يعترف؛ لأن المجتمع لا يرحم الرجل الذي يتردد فارتدى الغرور.

في الطاولة القريبة، شاب ينظر إلى فنجانه من الخارج يبدو عليه الهدوء، بطنه يحترق من الداخل

"لماذا أنا هكذا؟

لماذا كل شيء صعب؟

لماذا الكلام ثقيل؟

إذا تحدثت هل هناك من يفهم ما أنا عليه؟

اظن انهم سيضحكون؟"

هو لا يريد شيئًا كبيرًا فقط أن يشعر أنه طبيعي، لكن "الطبيعي" أصبح عبئًا عليه.

ومن النافذة

ذلك الطفل، لم يكن يبكي لكن عينيه تفعل

في داخله، لا توجد كلمات، فقط إحساس، نظرته لوالدته التي كانت تقبل أخيه الصغير كانت تتحدث

"أنا أقل."

"أنا خارج الصورة."

"أنا غير مرغوب."

هذه الأفكار لا تُولد هكذا، هذه تُزرع، نظرة، كلمة، تجاهل، وتكبر معه...

حتى تصبح صوته الداخلي.

أنا لا أرى أشخاصًا، أنا أرى حروبًا صامتة، كل طاولة هنا، جبهة، كل إنسان، يحارب شيئًا لا يُقال.

ضحكة انفجرت فجأة في المكان، التفتُّ، رجل له ملامح الصرامة، بجانبه صديقيه اللذان ارتسمت على ملامحهما الخوف وبيد أحدهم تقرير طبي، يضحك الرجل بصوت عالٍ، يضرب الطاولة بيده ساخرًا، لكن في داخله:

"لو سكت سيسألونني، وإذا سألوني...

ليس لدي إجابة، دعني أضحك، أسهل."

أنا أكتب الآن وأنا أشعر أنكم تقرؤونني، لكن هل تفهمون؟

هل فعلاً تشعرون بما أشعر؟

أم أنكم تقرؤون كما يقرأ الجميع بدون أن يلمسكم شيء؟

المشكلة ليست في الألم المشكلة أن الألم أصبح عاديًا، أن ترى شخصًا مكسورًا ولا تتوقف، أن تسمع عن انهيار أحدهم وتكمل يومك، أن تمشي بجانب طفل جائع ولسان حالك يردد (مش شغلي).

الإنسانية لم تمت، هي فقط أُنتزعت ببطء، كل يوم نُجرد أنفسنا من شيء صغير:

تعاطف...

رحمة...

انتباه...

حتى نصبح...

نسخًا باردة...

تمشي...

تتكلم...

لكن لا تشعر.

أنا بدأت أفهم لماذا يتحول البعض إلى أشخاص قساة

أو مدمنة، أو منهارة؟

لأنهم في لحظة ما لم يجدوا أحدًا، أحدهم كان يحتاج كلمة فلم تُقال، آخر كان يحتاج حضنًا فلم يُعطَ، طفل كان يحتاج أن يُرى فتم تجاهله.

وهكذا، نصنع بأيدينا النسخ التي نخاف منها، أطفأت سيجارتي لكن الدخان بقي، تمامًا كالأثر، الأشياء لا تختفي، فقط يتغير شكلها.

نهضت، نظرت إلى الوجوه مرة أخيرة وتساءلت:

كم شخص هنا يفكر الآن في الانسحاب؟

ليس من المقهى، بل من كل شيء؟

خرجت إلى الشارع، المدينة كانت كما هي...

صاخبة...

باردة...

مزدحمة...

لكن فجأة...

شعرت أنها فارغة.

فارغة من شيء بسيط جدًا، كان يكفي لينقذ كل هؤلاء.

الإنسان.

بقلم الكاتب: إسلام بن نائل

ما خلف الباب

ونيس، طفل فضولي مشاغب، كان في التاسعة حين انتقلوا الى ذلك البيت القديم.

بيت بجدران متشقِقة يقع في نهاية زقاق ضيق مظلم لا تدخله الشمس، وكأن الضوء نفسه يرفض المرور من هناك.

في الليلة الاولى لم يستطع ونيس النوم، كان يركض بين الغُرف يستكشف المكان صوت امه جاء من بعيد منخفضًا لكنه حاد:

"خش ارقد يا ونيس، ارقد مع خوك"

لم يسألها هذه المرة، لم يرد عليها أو يقل لماذا، وهو الذي اعتاد على النقاش والمفاوضات، شيء في صوتها كان كافيا ليُخرس كل الاسئلة، ركض إلى غرفته وتمدد على فراشه، تقلب كثيرًا لكن النوم لم يقترب، رفع رأسه قليلا ونظر نحو باب الغرفة، خيط ضوء خافت يتسلل من تحت باب أمه المغلق.

همس في نفسه إنها مستيقظة.

نهض من فراشه وتقدم بخطوات بطيئة وقلبه يخفق بسرعة

لم يعد السؤال لماذا؟

بل ماذا؟ ماذا تفعل أمي؟

وقف أمام الباب، كان يسمع صوتها لكنها لم تكن وحدها، صوتٌ آخر كان يخرج معها، صوت منخفض مكسور كأنه قادم من حلق جاف أو من قبر مفتوح لم يفهم الكلمات.

لكن الضحكة كانت واضحة.

ضحكة مكتومة باردة لا تشبه الأحياء، تمكن منه الفضول كالمعتاد واندفع دون تفكير، مد يده وفتح الباب قليلاً

تجمد مكانه، أمه كانت جالسة أمام طاولة

تلعب الورق لكنها لم تكن وحدها

في الجهة المقابلة كان هناك شيء لم ير وجهه، لم ير جسده، فقط يد،

يد سوداء عظمية طويلة الاصابع تتحرك ببطء فوق الورق، تسحب الاوراق وتعيدها وكأنها تعرف اللعبة أكثر من البشر، والظلال خلفها لم تكن ثابتة، كانت تتنفس، في تلك اللحظة التفتت أمه نحوه نهضت بسرعة غير طبيعية

وصلت إليه قبل أن يصرخ

أمسكت أذنه بقوة لم يعهدها منها

سحبته إلى غرفته ودفعته إلى الفراش، قالت بصوت منخفض لكنه أخطر من الصراخ:

"أرقد يا ونيس ... ارقد عطك مرقد"

ثم اغلقت الباب عليه، ظل مستيقظا يحاول أن يعيد ما رأى... اليد... الضحكة...

الظلام الذي كان يتحرك.

وفي رأسه سؤال واحد؟

من كان يجلس مع أمه؟

في الصباح

استيقظ على صوتها وكأن شيئا لم يحدث:

" ونيس امشي للكوشة وجيب خبزة."

خرج مسرعا، كان الشارع باردًا رغم الشمس، وقف في الدور، أمامه رجلان يتحدثان بصوت خافت، قال أحدهما:

"في ناس جدد سكنوا الحوش المهجور"

رد الأخر بعد لحظة صمت:

"قالوا سحارة خذاته."

بقلم الكتابة: بثينة الحاسي

كرسي ولادة

تنتظر في ترقّب دورها، وهي في توترٍ لا تحاول السيطرة عليه، وحرارةٌ داخلية تكاد تنفجر من الكتمان. ليس لشيء، ولكن لأنها المرة الأخيرة.

ستُقفل الملف، وتمزّق جميع أوراق التحاليل وصور الأشعة، وترمي زجاجات الأدوية في سلة القمامة، وتحرق أمنياتها وأحلامها بأن تكون "أمًّا". ستخرج إلى المجتمع بصورتها الحقيقية دون خوف من ردود أفعالهم، موجّهةً لهم ضربةً قاسية: أنها لم تعد تهتم بكلماتهم السامّة ونظراتهم المسمومة.

لن تختبئ مرةً أخرى في الزوايا والغرف المظلمة. لن تكون مثالًا للاشيء، ولن تكون إطارًا بلا صورة.

كل الهواجس كانت تدور في مخيلتها، والأمل يحيط بها ويحتويها في ساعاته الأخيرة. تتأمل الجالسات معها، ينتظرن أطفالهنّ القادمين إلى الحياة، متأملةً نفسها مثلهنّ في فرحةٍ تغيّر بألوانها جدران حياتها، وتقوّي حبالها الواهية التي تربطها بشريكها. محاولةٌ صارخة للانتصار على اتهاماته لها بأنها السبب الأول في عدم الإنجاب، وأنه يريد طفلًا يحمل اسمه ويكون العمود الأول لبيته، متناسيًا أنه يملك ما

يكفي من الأسباب، وربما يكون هو العائق الوحيد في تحطيم ذلك الحلم.

ولأجل كبريائها العنيد وثباتها، لم تهدم أركان ذلك الميثاق المقدس.

في وسط تلك الضوضاء، سمعت صوتًا يقول:

"المريضة رقم عشرة حان دورها."

لتكتشف نتائج محاولتها وإصرارها المستمر، وعدم يأسها من تجربة أشياء فوق طاقتها الجسدية والنفسية. لكنها متفائلة بأن الله لن يتركها تعاني الخذلان، فهو رحيمٌ بها، وكان معها في كل مرة غادرت فيها غرفة الكشف.

دخلت تجرّ قدميها الثقيلتين وكأنهما مكبّلتان بسلاسل. جلست على الكرسي تنظر إلى الطبيبة وتتمعّن فيما تقول، وتجيب عن أسئلتها بكل سهولة، فهي معتادة على هذه الأسئلة.

قالت لها الطبيبة:

"تعالي لنكشف بجهاز الإيكو."

استلقت على السرير، وأخذت الطبيبة تكمل عملها، وهي تنتظر: "هل هناك بذرة أمل معلّقة بغصن أمنياتها، أم ذهب كل ذلك أدراج الرياح؟"

في خضمّ هذا الصخب من التساؤلات وعلامات التعجب، أجابت الطبيبة بنبرةٍ آسفة يطرأ عليها بعض الحزن، معلنةً أنها لا تملك بوادر

لاستقبال طفل محاولةٌ لإسدال الستار على مسرحية "رحم المعاناة" التي عانتها طيلة هذه السنوات.

في تلك اللحظة، شعرت وكأن قوارير وجعٍ قد سقطت وتكسّرت، وأصبحت أشلاؤها في كل مكان، وهي تمشي حافية القدمين. غادرت للمرة الأخيرة من تلك الغرفة، وإلى الأبد، في مواجهةٍ مع واقعها المتوحش الذي ينتظر نتائج هذا الموعد لينصب لها محكمة، ويزجّ بها في السجن لتقضي بقية سنوات عمرها بتهمة أنها "عاقر".

وجدت نفسها داخل قضبان حديدية، وقاضٍ ظالم، وبدون محامٍ. وربما تخرج براءةً أو حتى بكفالة، لكنها تدرك تمامًا أنها ستبقى في هذا القالب، وأن "كتالوج" المجتمع لن يتخلى عن مبادئه الجائرة. إنها في مرحلة لن يشفق عليها أحد، حتى شريكها الذي أخذ الموافقة على أن يجعل منها الزوجة الأولى مع سبق الإصرار والترصّد.

اختنقت دون بكاء، وأغرقت الوجع في جوفها. ليس لديها خيارات ولا وقت لتبدأ من جديد بعد أن بلغت الخامسة والأربعين عامًا، مع تسعة عشر عامًا من المحاولات. كادت تتلاشى كالهباء في يومٍ عاصف، أو كأنها داخل تابوت موتها وستُدفن إلى الأبد.

حينها، مزّقت تلك الخيوط المرتبطة بذلك الحلم إلى قطعٍ صغيرة، ومشت دون أن تلتفت. أرادت أن تدخل مرحلةً مختلفة بروحٍ جديدة. لن تنظر إلى نفسها مرةً أخرى في المرآة كأنها ناقصة الأجزاء. سترى نفسها صورةً كاملة، جميلة الملامح والصفات، صورةً كاملة بإطارٍ ذهبيٍّ لافت.

ولادةٌ جديدة من رحم التنازلات ومعارك خاسرة، فقط لتغيّر فكر مجتمع لا يتقبّل الاختلاف.

المرأة التي لم تعتلِ كرسي الولادة، يمكنها أن تعتلي جميع الكراسي دون استثناء.

بقلم الكاتبة: فاطمة النمر المغربي

ربّما لا شيء للإنسان

تنادي ريم بصوتٍ عالٍ على قططها العزيزة، التي تعاملها كأنهم أطفالها:

"ماري، لايمي، لونا، أعزائي، تعالوا حان وقت النوم، قالت أمي يجب أن تناموا بعد سماع قصتنا الجديدة لهذه الليلة."

أجابتها قططها بمواء صغيرة وفردت أيديها بتكاسلٍ ودلال.

تحرّكت ريم من السرير، واتجهت نحو رفّ مكتبتها الصغيرة التي اشتراها والدها لها وملأها بالكتب، رفعت رأسها قليلًا وبدأت تقرأ عناوين الكتب لكنها وجدت أنها قد قرأتها جميعها سابقًا، تنهدت بضجر، ملأت خديها بالهواء ثم زفرته، وقالت بصوتٍ تملأه الخيبة:

"لقد قرأتُ كل القصص التي اشتراها أبي."

لكنها لم تفقد الأمل، بدأت تبحث مرةً أخرى، لعلّها لم تنتبه لأحد الكتب، وبينما كانت تتفحّص العناوين، انتبهت إلى كتابٍ غريب لونه أزرق، عليه كلبٌ بني يرتدي نظارة ويمسك ورقةً وقلمًا وكأنه يقرأ فوق مكتبة، قالت بينها وبين نفسها:

"ما هذا الكلب؟ لماذا شكله غريب هكذا؟ ومنذُ متى والكلاب تكتب؟"

قرأت العنوان، وكان مكتوبًا بالإنجليزية القديمة: (ربما لا شيء للإنسان...).

لم تفهم المعنى، فقررت أن تكتشفه مع قططها، جلست بجانبها على السرير، وبدأت بقراءة أول سطرين من الكتاب، حتى تناست وجود قططها تمامًا ثم فجأة تذكّرت، فنهضت بفزع وقالت:

"أعتذر! لقد نسيتكم لكن سنبدأ الآن بقراءة القصة."

في لحظةٍ ما وزمنٍ ما، كتب كلب يُدعى داميون قصةً قد عاش فيها مشاعرًا سعيدة قال فيها:

"مرحبًا، أنا كلب واسمي داميون، أو كما سمتني رفيقتي."

"ذات يوم، ذهبتُ معها إلى البقالة وكانت، كالعادة تُقيدني بذلك الحبل اللئيم الذي يمنعني من الحركة والجري لا أدري لماذا تفعل ذلك، لكن تبدو لي أنها متعلقة جدًا بي ولن تتركني كما أظن، على العموم، كنت أجلس بجانب البقالة التي أمامها مربط كلاب تربطني فيه، وبالقرب منها محلٌّ للورد، نظرتُ هناك، فرأيت قطةً بيضاء داخل قفصٍ مزيّن بالورود، يبدو أن هناك جاهلًا ما يريد إهداء زوجته وردًا... واضعًا قطةً جميلة في قفص! متى سيفهمون أن الحيوانات ليست هدايا؟

اوه بالمناسبة أنها قطة جميلة، ليتها كانت جروًا!

لا أدري لماذا تأخرت رفيقتي حينها، لكنني رأيت طفلًا صغيرًا يرتدي اللون الأزرق الفاقع يجري نحوي.

مهلًا ماذا سيفعل هذا؟ يا إلهي هذا الطفل على ماذا ينوي؟ سأهلك في القريب العاجل إن لم تخرج رفيقتي يبدو أن هذا الطفل متهور جدًا! لكن فجأة وبدون مقدمات، أمسك ذلك الطفل الحبل بقوةٍ جريئة حتى فكّه.

مهلًا هل يريد خطفي؟ يا إلهي الاطفال متهورون جدًا لا يحسبُ أني أقوى منه ويمكن لي في أي لحظة أن أفلتُ من يديه وأهرب، ولكنّي لستُ من النوع الذي يفكر دون تنفيذ وفجأة...

فلتّ من يديه.

ثم من فرحتي وشعوري بالحرية، بتّ أجري بدون وعي! أخذت أحوم بين البساتين والمحطات، أشمّ الورد وأقابل الجِراء الجميلة وأطلب أرقامهن، لكنهن كن يطردنني!

غمرتني نشوة الحرية لكنني لم أنسَ رفيقتي

كنت أنتظر غروب الشمس لأعود إليها.

دخلت بستانًا مليئًا بالورود كان جدًا جميل. لوهلة، شعرت أن هذا البستان ملكٌ لذلك العجوز صاحب محلّ الورد ذاك المحل الذي بتُ أحفظ شكله كاسمي كان خلابًا يجذب كل ما هو وفي ومحب بدأت أركض وألهث، أشمّ هذه وتلك، وعطر الورود يفوح في كل مكان.

لكنه كان مليئًا بالنحل أيضًا!

لا يهم لا شيء كامل، يجب ان هناك عيبًا في شيء ما، لعبت كثيرًا، حتى وجدت نافورة ماء تنثر المياه على الورود يا له من حظ رائع! أنا أحب الماء! أخذت ألهو وأتدحرج وأشرب المياه العذبة لقد كان طعمها مع الحريّة غير، ثم فجأة انتبهت للوقت.

كانت الشمس قد غربت بالفعل، والتفّت الورود حول نفسها، وكأنها تشعر بالبرد أو بالغربة بدون النور

حسنًا، حان وقت العودة، يبدو أنني قطعت مسافات طويلة بين بساتين والمحطات حتى شعرتُ أنني وصلت إلى الريف كان عليّ أن أعود في وقتٍ أبكر من هذا.

مشيت، وصدري ممتلئ بالتعب بسبب طريق العودة، لا أدري لماذا حين مشيتُ في كل مكان لم أشعر هكذا حتى وصلت أخيرًا إلى بيت رفيقتي أو بيتي.

أنا سعيد لقد وصلت، دخلت من المدخل، لكنني توقفت، شيء ما، مألوف، ورائحة الكوكيز التي أحبها!

لا... يا إلهي! إنها القطة البيضاء الجميلة، لكنها هذه المرة خارج القفص، تتدحرج على سجادتي بكسل! لاااا سجادتي، إنها لي، لا أسمح لأحد باستخدام أشياء أحبها..

مهلًا، أليس هذا الشاب هو صاحب القطة؟

لقد تذكرت هذا الشاب يا إلهي إنه أخوها، إنه اخ مرسلين

لقد تغيّر جدًا بعد ان أغترب هذا الأحمق

لكنه لايزال يملك تلك الابتسامة الشريرة...

حرّكت أذنيّ بتعجّب ونظرت أكثر، ثم استوعبت.

ما بال مرسلين؟ لماذا تبكي، لكن مهلًا هل أحضر القطة لها؟

هل ستعيش هذه القطة الجميلة معنا؟

هل يريدها أن تستغني عنّي لأجل هذه القطة الجميلة؟

كنتُ أعرف أنه لم يغترب لأجل خطة ما يريد وهي أن ينفيني من المنزل بسببها!

وحسنًا، هل سيعيش ذلك الجاهل هنا أيضًا؟!

هل سيبقى دائمًا؟

لا، لا، لا.

لدّي خطط ذكية هذا الجاهل سيخربها!

أخذتُ أتنفس الصعداء وقلتُ

لا بأس، سألعب مع القطة الآن، وسأُنهي نقاشي مع ذلك الجاهل لاحقًا.

بمجرد دخولي، سمعت صوت مرسلين اللطيف الناعم ينادي:

- داميون! هل عدت؟ لماذا تأخرت؟

اقتربت مني بابتسامةٍ سعيدة، وعيناها مليئتين بالدموع، وأنفها منتفخ.
هل أخذت وقت طويل في البكاء؟

هل تبكي مني؟ أظن أنه من أجل لقاء أخوها بعد فترة طويلة

أتمنى أن يكون السبب الثاني هو الذي أبكاها

نظرتُ إلى الأسفل بخيبةٍ من نفسي ماذا لو كانت تبكي بسببي؟ أنا لا أحب أن أؤذيها."

لكنها ربّتت على رأسي وقالت:

"كنت أعلم أنك ستعود."

يا إلهي لم توبخني كانت تعرف أنني لن أعيش بدونها، إنها رائعة، كم أحب مرسلين إنها جميلة ولطيفة جدًا معي،

ولا تشبه اخوها الاحمق أبدًا.

بقلم الكاتبة: آفاق يوسف

كان اسمه علي

طفلٌ لم يكن يشبه الآخرين، أو هكذا ظنّ العالم.

لم يكن صوته عاليًا، ولا ضحكته سريعة، كان يمشي بحذرٍ كأن الأرض مليئة بأسئلةٍ لا يفهمها.

ينظر طويلًا إلى الأشياء، وكأنها تخبئ سرًا لا يراه سواه.

قالوا:

"مختلف..."

وقالت أمّه بصوتٍ مكسور:

"هو فقط... يرى بطريقةٍ أخرى."

كبر علي قليلًا، وبدأت المعركة التي لم يخترها.

مدارس تُغلق أبوابها في وجهه، ووجوهٌ تبتسم مجاملةً ثم تعتذر.

"لا يناسب بيئتنا..."

"يحتاج مركزًا خاصًا ..."

"لن يندمج بسهولة."

كانت كل جملةٍ كحجرٍ يُلقى في قلب أمّه.

لكنها لم تتوقف.

تسهر الليل، لا لتنام، بل لتفهمه، تتعلم كيف يعبّر حين يصمت، وكيف يصرخ حين لا يُسمع صوته، بكت كثيرًا، ليس ضعفًا، بل خوفًا من عالمٍ لا يرحم من يختلف.

وفي كل صباح، كانت تمسك يده الصغيرة وتقول:

"لنحاول مرة ثانية... يا علي."

ثم جاءت الاختبارات، اختبارات الإدراك، والقدرة، والاندماج، جلس علي أمام أوراقٍ لا تشبهه، وأسئلةٍ لا تشبه طريقته في التفكير.

تردد... ارتبك... سكت طويلًا.

ظنّوا أنه لا يعرف.

لكن الحقيقة؟ إنه كان يفهم، بطريقةٍ لا يقيسها اختبار.

خرجت أمّه يومها وهي تكاد تنكسر، لكنه أمسك يدها، لأول مرة بقوة، في تلك اللحظة... فهمت.

لم يكن عليه أن يكون مثلهم... بل أن يكون نفسه.

لم تستسلم.

بحثت أكثر، تعبت أكثر، بكت أكثر...

حتى وجدت مدرسةً لم ترَ فيه نقصًا... بل اختلافًا.

هناك... لم يُجبر علي على أن يكون نسخةً من أحد.

تعلم بطريقته، تكلم بطريقته، وبدأ العالم... يتعلمه هو.

مرّت الأيام، وبدأ علي يثبت شيئًا لم يفهمه الكثيرون:

أن الذكاء ليس سرعة إجابة، وأن الاندماج ليس تقليدًا، وأن الاختلاف... ليس ضعفًا.

كبر علي، ووقف يومًا أمام جمعٍ من الناس، لم يكن صوته مرتجفًا هذه المرة.

صفّقوا له...

لكن أمّه فقط كانت تبكي.

لأنها وحدها تعرف... كم ليلةٍ بكت فيها دون صوت، وكم مرةً خافت أن يخسره العالم...

قبل أن يراه.

علي لم يثبت أنه مثلهم...

بل أثبت أن العالم كان يحتاج أن يتسع له

بقلم الكاتبة: سالمين علي

تاجرُ "الوقتِ الضائع" ومَن لم يرحلوا!

كان يسيرُ في الشوارع وهو يحمل ميزاناً قديماً، وينادي بصوتٍ يكسره الصدى:

"من يبيعُني انتظاراً؟ مَن يبيعُني موعداً فاشلاً؟ مَن لديه غصةٌ قديمة أو طريقٌ مسدود؟"

استوقفتهُ وقلت له بابتسامةٍ واثقة:

"يا عم، أنا لا أملكُ طرقاً مسدودة، أنا لديّ حبيبةٌ لم تفارقني قط، تنامُ وتصحو على صدق وعودها، ألا تشتري من هذا الوفاء شيئاً؟"

وضع التاجر ميزانه على الأرض، ونظر إلى يدي المتشبثة بالفراغ وقال بهدوء:

"يا ولدي، الوفاءُ بضاعةٌ (ثقيلةٌ جداً) على ميزاني، أنا تاجرُ خِفاف، أشتري ما يطيرُ في الهواء!"

تعجبتُ من كلامه وسألته:

"وما الذي يطيرُ في الهواء يا عم؟"

أجاب وهو يقلبُ دفاترَه المهترئة:

"أنا أشتري الأشياء التي لا تدوم لأنها هي التي تتركُ أثراً:

أشتري عطرَ امرأةٍ خانت صاحبها، فصار يراه في كل النساء.

أشتري رجفةَ اليد التي كتبت رسالةَ وداعٍ ولم ترسلها.

أشتري كذبةً جميلة صدّقها غبيٌّ ليعيشَ بسلام.

أشتري عمرَ من ينتظرون غائباً.. ولن يعود!"

نظرتُ إليه بحزن وقلت: "وحبيبتي التي لم ترحل؟ أليس لها ثمن؟

قال لي بحكمةٍ موجعة:

"يا بني، التي لا ترحلُ هي (روحك) التي تسكنُ في جسدٍ آخر.. والروحُ لا تُباع!"

ثم أضاف وهو يلملمُ أغراضه:

"الناسُ يا بني يبيعون لي (الراحلين) لكي ينسوا أما أنت، فماذا ستبيعني؟

هل تبيعني خوفك من أن تفارقك يوماً؟"

هذا الخوف غالٍ جداً سأشتريهِ منك بـ (ليلةِ نومٍ هادئة) فالعشاقُ الذين لم يفترقوا بعد، هم أكثرُ الناسِ رعباً من الغد."

وقبل أن يتلاشى في زحام المدينة، صرخَ صرخةً أخيرة:

"يا أيها المحبون! استمتعوا بوجوه بعضكم فغداً حين يرحلون، ستأتون إليّ لبيع (ذكرياتهم) مقابل كسرةِ نسيان.. ولن أشتريها!"

بقلم الكاتب: عبد الرب حامد

مقصّ من ريش

في كل مرة تمطر، أشعر أن المدينة تصبح أكثر صدقًا.

الوجوه تختبئ تحت المظلات، الطرقات تلمع كأنها تبكي، والسماء تبدو وكأنها أخيرًا تعبت من التظاهر بالقوة.

كنتُ أمشي بلا وجهة في ذلك المساء، أضمّ معطفي حولي، وأحاول عبثًا أن أهرب من فكرةٍ واحدة:

"كيف يمكن لشخصٍ كان يومًا وطنًا كاملًا... أن يصبح غريبًا إلى هذا الحد؟"

مرّ عامان على رحيلها، ومع ذلك، كان اسمها ما يزال يعيش داخلي كجرحٍ يرفض أن يلتئم.

لا شيء انتهى فعلًا.

الأحاديث الأخيرة ما تزال عالقة في رأسي، صوتها، ضحكتها، حتى طريقتها في قول اسمي... كانت تظهر فجأة، كأن الذاكرة تتعمّد تعذيبي.

كنتُ أعيش حياتي بشكل طبيعي أمام الجميع.

أضحك أحيانًا، أخرج، أعمل، أكتب، أجيب على الرسائل، وأقول دائمًا إنني بخير.

لكن الحقيقة؟

كنتُ أشبه بغرفة أُطفئت أنوارها منذ زمن، وما يزال أهلها يتظاهرون بأنها مأهولة.

ذلك المساء، قادني المطر إلى زقاق قديم لم أدخله من قبل.

كان ضيقًا، هادئًا، ومبللًا برائحة الزمن.

وفي آخره، ظهر محل صغير، تتدلّى فوق بابه لافتة خشبية بالكاد تُقرأ.

دخلت فقط لأحتمي من المطر.

رنّ الجرس المعلّق فوق الباب بصوت خافت، فرفع رجل عجوز رأسه نحوي.

لم يسألني ماذا أريد، ولم يرحّب حتى. اكتفى بنظرة طويلة، كأنه يعرفني منذ سنوات.

كان المكان مليئًا بأشياء غريبة؛ ساعات متوقفة، صناديق موسيقى، مرايا مشروخة، رسائل صفراء، أقلام حبر قديمة، وكتب فقدت عناوينها.

شعرتُ أنني دخلت ذاكرة شخص آخر.

وبين كل تلك الأشياء، رأيته.

مقص صغير داخل صندوق زجاجي.

قبضتاه فضيتان، أما نِصاله... فلم تكن من معدن.

كانت ريشتين بيضاوين ناعمتين.

اقتربت أكثر، ظننتها قطعة فنية أو مزحة سريالية.

سألت العجوز:

"ما هذا؟"

قال بهدوء:

"مقصّ من ريش."

ابتسمت ساخرًا قليلًا:

"والمقصوص هنا ماذا يكون؟ الغيوم مثلًا؟"

رفع عينيه نحوي، وقال:

"الحنين."

ساد الصمت لحظة.

ضحكتُ، لكن ضحكتي خرجت مكسورة أكثر مما توقعت.

"وهل يوجد شيء يقطع الحنين فعلًا؟"

أجابني بصوت هادئ، كأن الكلام ليس جديدًا عليه:

"ليس كل القطع مؤلمًا. بعض الأشياء يجب أن تُفصل برفق، حتى لا تنزف الروح."

لا أعرف لماذا شعرتُ وقتها بأنه لا يتحدث عن المقص... بل عني.

اشتريته دون تفكير.

في البيت، جلستُ أمام صندوق خشبي قديم أخفيه أسفل سريري منذ سنوات.

صندوق لا أفتحه إلا عندما تشتدّ وحدتي.

أخرجته ببطء.

رسائلها.

صورنا القديمة.

تذكرة السينما الأولى.

وردة جافة خبأتها بين صفحات كتاب.

إيصال قهوة احتفظتُ به فقط لأنها كتبت عليه:

"لا تتأخر في الغياب."

يا للسخرية...

أمضيتُ أصابعي فوق الأشياء كما لو أنني ألمس زمنًا كاملًا، لا مجرد ذكريات.

ثم وجدتُ الرسالة الأخيرة.

الرسالة التي كتبتها بعد رحيلها ولم أرسلها أبدًا.

فتحتها.

"كنتِ تعرفين أنني أحبك أكثر مما ينبغي.

تعرفين أنني كنتُ أراكِ البيت الوحيد الذي أردت العودة إليه دائمًا.

فلماذا تركتِ الباب مفتوحًا لكل هذا البرد؟"

توقفتُ عن القراءة.

شعرتُ بالاختناق.

أمسكتُ المقصّ.

ضحكتُ من نفسي للحظة.

كيف يمكن لقطعة سخيفة كهذه أن تساعدني؟

لكنني وضعته فوق الرسالة.

وفجأة...

لا أعرف كيف أصف ما حدث.

لم تُقطع الورقة.

لم تتمزق.

لكن شيئًا داخلي انقطع فعلًا.

شعرتُ كأن خيطًا طويلًا كان يلتف حول قلبي منذ سنوات قد انفكّ أخيرًا.

لم أبكِ بعنف.

كانت دموعي هادئة... مختلفة.

كأن الحزن نفسه تعب مني.

منذ تلك الليلة، تغيّر شيء ما.

لم أعد أستيقظ مفزوعًا من الذكريات.

لم أعد أفتش هاتفي كل ليلة كأحمق، أبحث عن رسالة مستحيلة.

حتى صوتها في رأسي بدأ يبتعد، كأغنية تُسمع من بيتٍ بعيد.

كنتُ أستخدم المقص كلما شعرتُ أن الماضي يحاول سحبي إليه.

أكتب ما يؤلمني... ثم ألمسه بالريشتين.

مرة قطعتُ خوفي من الوحدة.

ومرة قطعتُ غضبي منها.

وفي ليلة طويلة جدًا، قطعتُ ذلك السؤال الذي ظل يطاردني:

"لماذا لم أكن كافيًا؟"

ومع الوقت، بدأتُ أتنفس بطريقة مختلفة.

أخف.

بعد أشهر، عدتُ إلى الزقاق القديم.

كنتُ أريد أن أسأل العجوز عن المقص، عن سره، عن كيف عرف كل هذا.

لكن المحل لم يكن هناك.

وقفتُ مذهولًا.

المكان فارغ.

لا باب، لا نافذة، لا لافتة خشبية.

فقط جدار قديم كأن المحل لم يوجد أصلًا.

سألتُ رجلًا كان يمرّ بالقرب مني:

- ألم يكن هنا محل قديم؟

نظر إليّ باستغراب وقال:

- هذا المكان مهجور من سنين.

عدتُ إلى البيت مرتبكًا.

فتحتُ الدرج بسرعة.

كان المقص ما يزال هناك.

هادئًا... وحقيقيًا.

جلستُ أحدق فيه طويلًا، ثم ابتسمت لأول مرة منذ سنوات دون ألم.

ربما لم يكن سحرًا.

ربما كنتُ فقط بحاجة إلى شيء يعلّمني أن النهايات لا يجب أن تكون دامية دائمًا.

بعض القلوب لا تحتاج إلى سكين كي تتعافى...

بل إلى مقصّ من ريش.

بقلم الكاتبة: شيرين شوقي عامر

بقايا مُنطفئ

كانت هناك، لكنه لم ينتبه...

واقفة تنتظر منه التفاتة، نظرة في وسط الزِحام، أو حتى سلام، أي شيء قد يثبت أنه فعلاً كان يراها أو يشعر بوجودها.

سبق وقد احتفظت بتفاصيله الصغيرة هناك في قلبها، حيث لا يراها أحد ...

لمعت عيناها عندما التقت أعينهم صدفة، وكان قلبها يرفرف حين تسمع نبرته، أما عقلها فكان يفسّر تلاقي الصدف الخالية من المشاعر على أنها فعلٌ مقصود يحمل في ظله الحب.

لكنه ببساطة ...

تجاهل تماماً عيناها الصادقة التي كانت تحاول اخباره بمدى اشتياقها له.

استمرت أيامًا وأيامًا وهي تحاول في صمت، تلتمس له الأعذار وتنتظر منه الود، بدت وكأنها تغرس الزهور في أرضٍ صلبة، أو تحاول التقاط أنفاسٍ في عمق المُحيط.

وحين التفت أخيرًا... كان قد فات الأوان.

لم يعد هناك وقت للعودة، للتحدث، ولا حتى للاعتذار عن ما مضى.

لم تعد تلك الفتاة التي يرتجف قلبها لمجرد ذكر اسمه.

أصبح وجوده الآن عاديًا، باهتًا، لا لون له؛ قد فقد حضوره الذي كان يزهر قلبها معناه، إمّا لأنها انتظرته أكثر من اللازم، أو لأنها اختارت ولم تُختَر.

كانت أشبه بوردةٍ حقيقية نمت على نافذة مهووسٍ بالورود الصناعية، فلم يلتفت إليها إلا عندما ذبلت.

والغريب أنها لم تحزن عليه، بل عليها...

على ذلك الوقت الذي ضاع دون جدوى، وهي تحاول الوصول لشخص لم يرها من الأساس،

وعلى تلك الروح المبهجة التي أرهقها كثرة التفكير، وسلب منها الانتظار بهجتها.

واليوم تقف أمام نفسها وتهمس:

"أيعقل أن كل هذا الخذلان فقط لأفهم أني أستحق أفضل من اهتمامٍ متأخر؟"

ورغم إدراكها لهذه الحقيقة المؤلمة، ما يؤلمها أكثر أنه لم يعد بوسعها العودة إلى نفسها القديمة.

فما مات فيها لم يكن حبًا، بل روحًا تعلّقت بوهم، قتلها انتظارها لشخص لم يصل في الوقت المناسب.

بقلم الكاتبة: رويدا مفتاح

خارج حدود الضوء 7/7

بينما كنا نهيل التراب على عمر، بقي الرجل واقفاً خلف الشجرة العتيقة.

لم يقترب، لم يختفِ، بقي هناك كأنه جزء من الشجرة.

كان وجوده وحده كافياً ليجعل القبر يبدو أقل ظلمة من الطريق.

قال سعيد بصوت مبحوح:

"إنه ينظر إليك."

لم أجب.

كنت أعرف.

هناك نظرات لا تقع على الوجه، تقع على الشيء المدفون خلفه.

شعرت أن الرجل لا يراني كما أقف عند القبر، بل يراني كما كنت ليلة المخزن، يراني وأنا ألتفت إلى خالد، أراه يمد يده، ثم أواصل الركض.

الرجل ليس خالدًا.

عرفت ذلك دون أن أعرف كيف.

خالد، في ذاكرتي، يطلب النجاة. أما هذا الرجل، فيعرف أن النجاة نفسها هي الفخ.

أمسك سعيد بذراعي.

كانت يده باردة، كتفه النازف تصلب تحت قماش ثوبه، والقلادة القديمة ما زالت في قبضته، كأنها آخر دليل على أنه لم يفقد عقله بعد.

قال:

"إلى المغارة."

لم يرد المغارة، بل أراد أي مكان لا يرى فيه ذلك الرجل.

ركضنا.

تركنا القبر خلفنا. تركنا عمر فيه.

كانت الأشجار تتراجع حولنا كأنها تعرف الطريق أكثر منا.

القمر فوق الوادي بدا كبيراً جداً، أبيض جداً، حتى لم يعد ضوء، بل فضيحة.

دخلنا المغارة.

تغيّرت المغارة، أو ربما تغيّرنا نحن.

الجدران بدت أقرب، الرسوم أوضح، أسماءنا الثلاثة ما زالت محفورة في الصخر، لكن اسم عمر صار أسود، ممتلئاً بالتراب، كأن الجبل أغلق عليه من الداخل.

مرر سعيد عينيه على الجدار ثم أشاح بوجهه.

لم يعد يريد أن يرى.

قال:

"هناك ضوء."

في عمق المغارة، حيث لم ننتبه من قبل، ظهر خيط باهت. لم يكن ضوء الفتحة التي دخلنا منها.

كان أصفى وأبعد. لا يأتي من الخارج. يأتي من زمن آخر.

تقدم سعيد أولاً.

تبعته.

كان الطريق يهبط بين الصخور، الأرض زلقة، الجدران رطبة، في بعض المواضع رأيت آثار أيدٍ غائرة في الطين المتحجر، أيدٍ كثيرة، بعضها صغير، بعضها مشوه، كلها متجهة إلى الخارج.

لم أعرف: أيدي ناجين؟ أم أيدي من أرادوا ترك دليل ولم يصدقهم أحد؟

كنا نمشي بلا كلام.

سبقنا صوت القلادتين أحيانًا، ثم توقف الصوت.

قلت:

"سعيد؟"

قبل لحظة، رأيت كتفه ورأسه ويده على الجدار، ثم اختفى.

لم أعد أراه.

تقدمت بسرعة.

"سعيد!"

عاد اسمه من جوف المغارة باردًا، ومقطوعًا، كأن الصخر أخذ صاحبه وترك لي الصوت فقط.

وجدت القلادة الصدئة على الأرض.

كانت مكسورة.

أما قلادته الحقيقية، فلم أجدها.

وقفت طويلاً أحدق في المكان الذي اختفى فيه.

لم أصرخ بعدها، لم أكن متماسكًا؛ فقط فهمت أن لكل واحد منا بابًا لا يراه غيره.

عمر أخذه القبر.

سعيد أخذته المغارة.

وأنا ينتظرني الضوء.

واصلت السير.

لا أعرف كم مشيت في المغارة، يُقاس الوقت بما تفقده وأنت تمضي. فقدت الخوف، ثم الغضب، ثم الرغبة في النجاة، ولم يبقَ داخلي إلا سؤال واحد:

"لو عاد الزمن، هل كنت سألتفت إلى خالد؟"

أردت أن أقول: نعم.

لكن الإنسان حين يكون وحده تماماً لا يكذب كما كان يكذب بين الناس.

لا أعرف.

وهذا كان حكمي.

اتسع الضوء أمامي.

خرجت من شق ضيق بين الصخور، فوجدت نفسي في أسفل الوادي.

كان النهار رمادياً. الرذاذ يبلل الأرض. رائحة التراب المبتل.

للحظة ظننت أنني نجوت، رفعت وجهي وتنفست الهواء مؤلماً وحقيقياً.

ثم سمعت صهيل الخيول.

اختبأت خلف الأحراش.

رأيت ثلاثة فرسان يصعدون الوادي.

عمر في المقدمة، نحيفاً، حاد الوجه، بابتسامته الباردة.

سعيد خلفه، يده تذهب إلى صدره حيث تتدلى القلادة.

والثالث يسير متأخراً قليلاً، يحمل بندقيته، وينظر إلى الأشجار... أنا.

رأيت نفسي.

لم أفهم. العقل لا يقبل أن يرى صاحبه من الخارج. بقيت أحدق في ذلك الرجل الذي كنتُه، في طريقة قبضته على البندقية، في ارتباك عينيه، في كذبته التي لم ينطقها بعد.

تحركت خلف الأغصان.

رفع الرجل الثالث بندقيته نحوي مباشرة.

رأيت عينيه تبحثان في الظل، وإصبعه يقترب من الزناد، والخوف القديم يعود إلى وجهه.

ثم أنزل البندقية.

قال:

"مجرد حيوان."

نظر إليه عمر وسعيد.

لم يصدقه أحد.

ولا هو صدق نفسه.

مرّوا أمامي. لم يروني. أو رأوني كما يرى الإنسان إنذاره الأول: يلمحه، ثم يسميه شيئاً آخر كي يستطيع أن يكمل الطريق.

تبعتهم.

لم أعد أسير كالأحياء. قدماي لا تلامسان الأرض، وربما لم تعد لي قدمان أصلًا.

وصلت إلى المخيم قبلهم.

المكان كما عرفته: الحطب الرطب، الأرض الباردة، الأشجار التي تميل نحو الداخل.

البقعة الصغيرة التي ستصير بعد قليل دائرة نار، ثم دائرة خوف، ثم مركزاً لا يخرج منه أحد.

وقفت عند طرف الضوء.

حين أشعلوا النار، صارت بيني وبينهم حدود لم أستطع عبورها.

الضوء لم يكن يطرد الظلام، كان يطردني أنا.

هناك فهمت.

أنا الرجل خلف الشجرة.

أنا الهيئة التي رأيناها ولم نفهمها.

أنا الظل الذي ظنناه عدواً.

أنا اليد التي كانت ترمي الحجارة.

أنا التحذير الذي جاء متأخراً حتى صار جزءاً من العقوبة.

رأيت عمر يختفي بين الأجمات، ثم الصرخة، ثم الأرنب في الطريق.

حاولت أن أخيفه، أن أدفعه، أن أجعله يهرب. مرّت يدي خلال جسده كهواء بارد. بقي مكانه، ساكناً كأنه يعرف أن موته الأول ليس موته وحده، بل بداية ما سيُكشف بعده.

رفع سعيد الحجر.

أدرت وجهي.

لكنني سمعت الضربة.

وسمعت الصمت بعدها.

في الليل، وقف عمر عند طرف المخيم وأشار إلى مكاني.

قال:

"هناك شخص يقف في الظلام."

كان يشير إليّ.

أردت أن أصرخ:

لا تدخلوا المغارة.

لا تلمس القلادة يا سعيد.

لا ترفع بندقيتك يا عمر.

لم يسمعوا. لم يكن مسموحًا لهم أن يسمعوا.

لأن اللعنة لا تمنحك فرصة ثانية كي تغيّر ما فعلت. تمنحك فقط فرصة لا تنتهي كي تراه يحدث مرة أخرى.

جمعت حجارة صغيرة من الأرض.

لا أعرف كيف فعلت، لم تكن لي يدان كما كانت من قبل، لكن الحجارة تحركت، ربما بالإرادة، ربما بالندم، ربما لأن الجبل أراد أن يجعل محاولتي جزءاً من سخريته.

رميت أول حجر.

سقط قرب عمر.

لم يفهم.

رميت الثاني.

ثم الثالث.

كنت أريد أن أوقظهم قبل القبر، والضباب، والجنود، وقبل أن يقرأ الجدار أسماءنا.

قبل أن يسأل عمر وهو يموت إن كان خالد يناديه، قبل أن تختفي قلادة سعيد في عمق المغارة، قبل أن أخرج أنا من الشق لأرى نفسي في البداية.

لكنهم لم يفهموا.

كما لم أفهم أنا.

كل شيء عاد، الصرخة، الأرنب، الحجارة، القبر، المغارة، الجنود، خالد وهو يمد يده، وأنا، دائمًا، خلف الشجرة نفسها.

في البداية عددت الدورات بخدوش على جذع الشجرة.

كانت تختفي مع الفجر.

بعدها صرت أعدّها بعبارة عمر:

"أردت فقط أن أعرف..."

ثم بكذبتي:

"مجرد حيوان."

ثم توقفت.

العود الأبدي ليس أن يتكرر العالم كما هو.

بل أن يتكرر ذنبك حتى تفقد حقك في الدهشة.

والآن، أنا أقف خلف الشجرة العتيقة.

لا أملك جسداً كما تملكون.

ولا صوتاً يكفي لعبور الضوء.

ولا ظلاً، لأن الظل نعمة من يقف داخل العالم.

أرى نفسي كل مرة: يرفع البندقية نحوي، يخفضها، ثم يكذب.

وأعرف أنه سيدخل الجبل، مرة أخرى، ثم سيخرج من المغارة ليقف مكاني.

إذا كنتم تقرؤون هذه الكلمات الآن، فلا تطمئنوا إلى أنكم خارج القصة.

لا أحد يكون خارج الدائرة لمجرد أنه يقلب الصفحة.

بعض الجبال لا تحتاج أن تزوروها كي تعرفكم.

بعض المغارات تُفتح حين يغلق الإنسان عينيه عن يدٍ امتدت إليه.

وبعض الأصوات تظل تنادي حتى بعد أن يموت صاحبها، لا لأنها تريد النجاة، بل لأنها تريد أن تعرف: **"هل ستلتفت هذه المرة؟"**

ربما تسمع الليلة حجراً صغيراً يسقط قرب النافذة.

لا ترفع راسك بسرعة.

لا تنظر إلى طرف الغرفة حيث لا يصل الضوء.

لا تنظر في زجاج النافذة.

بقلم الكاتب: زهير بوزيد

رجلاً على مقاس قلبي

لطالما وددتُ أن أتزوج من رجل ذي مستوى دراسي عالٍ، مثقف عاشق للكتب، يُجيد التعبير عما يدور في خلده، فنان في رسم كلمات الغزل وإلقاءها على مسامعي، يُشاركني فنجانَ قهوتي الصباحي، ونتبادل المعلومات في كل المجالات الاقتصادية منها والاجتماعية والسياسية، نشترك سوياً في خلق فلسفة حياتية شمولية من نظرتنا السماوية، ونضع الخطوط والنقاط على الحروف لبناء حياة تُشبهنا نحن دون مثاليات أو تصنع ومجاملات.

وشاء الله أن يجمعني بقدري برجل من سكان حيّنا، أحد أبناء الجيران الذي لم أكُ أعلم حتى بوجوده على سطح البسيطة... وافقتُ عليه بعدما علمتُ بشدة إعجابه بي، وإلحاح والدتي بالموافقة عليه، رميتُ كل أحلامي جانباً وارتبطتُ برجل ذا مستوى دراسي متوسط، يعمل في الهندسة الكهربائية وأعمال البناء والجبس والدهان، لا يعلم حتى ماذا تعني كلمة ثقافة، ولا يعترف بلغة العلم بل لغة المال والعمل...

بعد مرور عام على زواجنا...

كانت حياتنا روتينية كأية حياة أخرى، لا تُشبه في شيء تلك الحياة التي كنتُ أحلم بها والتي قرأتُ عنها في القصص والروايات، وكنتُ قد بلغتُ الشهر التاسع من الحمل بتوأم بنات، كانت بنيتي ضعيفة

وصحتي في تراجع، وقررت الطبيبة التي تُشرف علي طيلة فترة الحمل، ضرورة لزوم الراحة والبقاء في المصحة لتلقي علاجي في وقته، وكل ما يلزم من خدمات، إلا أن زوجي أصر على بقائي في بيتي وأن يشرف بنفسه على رعايتي وعلاجي، فرَّغ نفسه من كل أشغاله وارتباطاته، وبقي بجانبي يطعمني ويسقيني ويقلم أظافري ويمشط شعري، حتى أنه يختار لي أحب ملابسي إلي، يصنع لي عصيري المفضل، ويقرأ علي من القرآن أحب السور إلي، واشترى لي كتابين من المعرض المقام في حيّنا وقتذاك لعلمه بحبي للمطالعة والكتب...

ذُهِلت من كم التفاصيل التي يحفظها عني، لم يُخبرني يوماً أنه يحب تفاصيلي أو يهتم بها، لكنه جسدها واقعاً عملياً، لم يخبرني أنه مهتم بي وأنني أولى أولوياته، لكنه تفرغ من كل شيء حين مرضي إلا مني، لم يبُحْ ولو لمرة بمدى قلقه عليّ وخوفه من فقداني، ولكن وزنه المتناقص كل يوم، وشحوب وجهه وسهره على راحتي أخبراني..

ظننتُ من قبلُ أن زوجي لا يُجيدُ سوى لغة البراغي والمفكات والمطرقة، لكنه أيضاً كان يُجيد فك براغي قلبي واستبدالها بأخرى على مقاس قلبه وحبه، أجاد الطرق على باب قلبي حتى فُتن به وفُتح له على مصراعيه..

حان موعد ولادتي والألم بلغ بي أشُّدهُ، لم أستفق إلا في اليوم التالي لولادتي، دخلتُ في غيبوبة قصيرة، وكان أول شخص رأيتُ وجهه أمامي هو زوجي الذي لم يُفلت يدي ولسانه يلهجُ بالدعاء والمناجاة والحولقة، كانت عيناه كعيني الباندا من بكاءه وسهره وقلقه، لم تسعه الفرحة حينما فتحتُ عيني، فبكى وسجد لله حامداً شاكراً...

بعد مرور خمسة أعوام...

تغيرتُ كثيراً.. لم تمنعني شهاداتي ونجاحي مهنياً وعلمياً وتحدثي بأكثر من لغة من تعلم لغة زوجي وإجادتها، تعلمتُ استخدام المفكات وإصلاح مواسير المياه وتركيب الستائر وتغيير مصابيح البيت، كان يُحبُّ عملي معه في إعادة دِهان البيت واختيار الألوان، بينما كان هو يمنحني الحرية والثقة المطلقة في ممارسة حياتي التي أحب، فيحترم وقتي ويقدر انشغالي بالبحوث العلمية ويذهب معي في كثير من الأحيان لحضور المؤتمرات والندوات، واليوم لدينا من الأبناء مريم ورقية التوأمتين ذوات الخمس سنوات، وعائشة بنت ثلاث سنوات وصغيرنا يوسف الذي لم يبلغ العام من عمره بعد، جميعهم معي في لحظات مناقشتي لأطروحتي لنيل درجة الدكتوراه في الفلسفة، وها آنذا أُهدي نجاحي لزوجي، وأصفق له تهنئة بنجاحه كزوج أولاً وكرجل بلغ أسمى مراتب النبل ثانيا، وأخيراً.. كأب بلغ أسمى معاني الأبوة مع أطفاله...

لقد تمنيتُ رجلاً على مقاس أحلامي، فمنحني الله زوجاً على مقاس قلبي تماماً، كنتُ أريده مثقفًا ذو مستوى علمي عالٍ، فرُزقتُ صاحب الدين والخلق وصاحب أعلى شهادة في اللطف والحنان لم أكن أحبه، لكن الله كان يعلم حاجتي فدبرها لي بأحسن مما كنتُ أتمنى، وكما قال سبحانه في كتابه المقدس: (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

بقلم الكاتبة: صفاء عبدالله

محمد الواحد — رتاج ونيس
طوق الزمرد — مصعب بن جدّي
سارة الباروني — إبتهاج المرغني
فطومه محمد — عبد الكريم حدُّوت
حمادي صالح — إسلام بن نائل
دعاء فوزي — بثينة الحاسي
أبرار عبد الفتاح — فاطمة النمر
آفاق يوسف — سالمين علي
جلال بودرباله — شرين شوقي
أسماء بن عاشور — رويد مفتاح
ندى باسم — زهير بوزيد
أروى علي — صفاء عبد الله
عبد الرب حامد

تصميم الغلاف:
خليفة هَدية

دار ملهم للطباعة والنشر

دار ملهم للطباعة والنشر

كوكبة من الكُتَّاب